

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

المسيلة

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

محاضرات في مقياس الحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي

للسنة الأولى ماستر، تخصص: تاريخ وسيط

إعداد الدكتور :

محمد عيساوي

الموسم الجامعي 2016 / 2017 م

الفصل الأول :

المدخل إلى الحضارة الإسلامية

أولا : ماهية الحضارة

ثانيا : السُّبُل إلى تحقيق التقدم الحضاري من منظور الحضارة الإسلامية

ثالثا : ثالثا الأسس الفكرية في بناء الحضارات الإنسانية (القديمية و الإسلامية)

رابعا : الأسس الفكرية للحضارات القديمة

خامسا أسس و أصول الحضارة الإسلامية :

سادسا: القيم في الحضارة الإسلامية

سابعا : موازنة بين الحضارات القديمة و الحضارة الإسلامية :

أولاً: ماهية الحضارة :

إن من أكثر الأمور صعوبة هو الاختلاف البين بين المفكرين حول تعريف الحضارة ، وما تشمله من معان و أطر ، فالحضارة في تعريف المتقدمين لم تكن تعني سوى الإقامة في الحضر و الحضر عندهم هو عكس البادية ⁽¹⁾ ، و ذلك كما نصَّ عليه ابن منظور مثلاً فقال : الحضارة هي الإقامة في الحضر ، و الحاضرة خلاف البادية . ⁽²⁾

ولكن تطوّر المعنى فيما بعد ليشمل ما تستلزمه حياة الإنسان في الحضر من تطوّر في الصناعة و العلوم و الفنون و القوانين ، و غير ذلك و هي أمور قد يعيش الإنسان بدونها في البادية، و لكنها تُجَمِّل حياته في الحضر ، بمعنى أنها ليست من ضروريات الحياة في هذا التعريف، و هذا الأمر أدّى بالمؤرخ ابن خلدون بأن يُعرِّف الحضارة بأنها " أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران ، زيادة تتفاوت بتفاوت الرقة و تفاوت الأمم في القلّة و الكثرة تفاوتاً غير منحصر. " ⁽³⁾

ولعل أصل كلمة الحضارة في المصطلحات الأوربية تعود إلى نفس المنطلق ؛ حيث إن كلمة الحضارة في الإنجليزية (Civilization) تأتي من الكلمة اللاتينية (Civis) ، و التي تعني المدني أو المواطن في المدينة ، فهي تعني عندهم الذين يسكنون في المدينة ثم تطورت عندهم كما تطوّرت عند غيرهم لتشمل أحوال الناس في داخل المدينة و لذلك كثيراً ما تترادف عند المفكرين كلمة الحضارة مع كلمة المدنية ، مع فروق طفيفة بين

(1) — راغب السرجاني : ماذا قدم المسلمون للعالم ، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الثانية ، 1430 هـ / 2009 م ، ص 04 .

(2) — ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، مادة حضر ، ج 04 ، ص 196

(3) — ابن خلدون : المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ج 01 ، ص 368 ، 369 .

المعنيين . (1)

و ترى المعاجم اللغوية الحديثة أن الحضارة هي: " الرقي العلمي، والفني، والأدبي والاجتماعي، والاقتصادي في الحضرة. وبعبارة أخرى أكثر شمولاً، هي: الحصيلة الشاملة للمدنية، والثقافة، والفكر، ومجموع الحياة، في أنماطها المادية والمعنوية. " (2)

و لكن الأصل اللغوي لم يعبر عن آراء المفكرين و الباحثين بشكل يُجمعون عليه بل كانت لهم اتجاهات كثيرة متباينة ، لا تُعبر فقط عن اختلاف لغوي ، و إنما تعبر عن اختلاف فكري و منهجي ، و أخلاقي ، بل و عقائدي . (3)

فَمِنَ المفكرين من نظر إلى الإنسان نفسه ، و اعتبر أن رُقْيَ الإنسان في سلوكه وأخلاقه و معاملاته هو الحضارة ، و هو اتجاه سامي ، يُقدّر قيمة الإنسان و يرفعه فوق المادّة ، و يهتم بالفكر و العاطفة معا ، و من هؤلاء المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي يُعرف الحضارة بأنها : " البحث الفكري و البحث الروحي . " (4)

و كذلك يركز الأديب سيد قطب على هذا المعنى بقوله : " الحضارة هي ما تعطيه للبشرية من تصورات ، و مفاهيم و مبادئ ، و قيم تصلح لقيادة البشرية . " (5) و قبلهما نحا ألكسيس كاريل منحى مشابهاً ، فعرّف الحضارة بأنها : " الأبحاث العقلية و الروحية ، و العلوم الخادمة لسعادة الإنسان النفسية و الخلقية و الإنسانية . " (6)

(1) _ راغب السرجاني : المرجع السابق ، ص 04 .

(2) _ السايح : الحضارة الإسلامية ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية ، ص 70 .

(3) _ راغب السرجاني : المرجع السابق ، ص 05 .

(4) _ مالك بن نبي : شروط النهضة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1406 هـ / 1986 م ، ص 33 .

(5) _ سيد قطب : المستقبل لهذا الدين ، ص 56 .

(6) _ ألكسيس كاريل (1873 م _ 1944 م) : طبيب و مفكر فرنسي ، حاصل على جائزة نوبل في الطب

عام 1912 ، درس في أمريكا و فرنسا ، عُرف في عالم الفكر بكتابه الشهير (الإنسان ذلك المجهول)

أنظر ألكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ، ترجمة شفيق أسعد فريد ، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر ، 2003 م ،

و قريبا من ذلك المفهوم يقول غوستاف لوبون أن الحضارة هي " نضوج الآراء و المبادئ و المعتقدات ، و تغَيُّرُ مشاعر الإنسان إلى الأفضل . " (1) فهذه كلها تعريفات تدور حول الاهتمام بالإنسان ذاته داخليا ، و مدى رُقي أفكاره و أخلاقه .

و من المفكرين من يعتبر الحضارة هي الإنتاج الذي يُقدِّمه البشر لخدمة الإنسان فهم لا ينظرون إلى داخل الإنسان كأصحاب الرؤية السابقة ، إنما ينظرون إلى ما أنتجه هذا الإنسان في مجتمعه ، و قد ينظرون إلى إنتاجه بشكل شامل في كل المجالات أو يهتمون بجانب على حساب آخر ، فالدكتور حسين مؤنس مثلا يرى أن الحضارة " هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان ؛ لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أو غير مقصود ، و سواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية " (2) .

فهذا التوجُّه ينظر نظرة شاملة إلى جهد الإنسان و إنتاجه ، بينما يُخصّص ول ديورانت الإنتاج البشري في اتجاه الثقافة و الفكر و يجعل بقية العوامل في الحياة مؤدية إلى هذا الإنتاج فيقول : " الحضارة هي نظام اجتماعي يُعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي بعناصر أربعة : الموارد الاقتصادية ، و النظم السياسية ، و العقائد الخلقية ، و متابعة

ص 57 .

(1) _ غوستاف لوبون (1841 م _ 1931 م) : مستشرق فرنسي قام بدراسات متخصصة في علم النفس و الاجتماع ، من أشهر كتبه (حضارة العرب) ، الذي يعد من أمهات الكتب التي صدرت في العصر الحديث في أوروبا لإنصاف الحضارة العربية الإسلامية . أنظر غوستاف لوبون : روح الجماعة ، ترجمة محمد فتحى زغلول ، مطبعة الشعب ، مصر ، 1327 هـ / 1909 م ، ص 17 .

(2) _ حسين مؤنس : الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978 ، (سلسلة عالم المعرفة) ، ص 13 .

العلوم و الفنون . " (1)

و هناك من ينظر نظرة مادية إلى الحضارة ، و يعتبرها من الأمور الترفيفية التي تؤدي إلى راحة الإنسان و سهولة حياته ، و لا ينظر بذلك إلى داخل الإنسان ، و لا ينظر كذلك إلى المعتقدات الفكرية ، و لا إلى الأخلاق و المبادئ ، و هؤلاء أحد صنفين : إما عشاق للمادة مُغرقون في إنكار المبادئ و القيم كأحد العوامل الرئيسية في تقييم أمة و مجتمع ، و ينقل عنهم أحمد شلي تعريفهم للمدنية على أنها : " الرقي في العلوم العلمية و التجريبية ؛ كالطب و الهندسة ، و الكيمياء ، و الزراعة و الصناعة و الاختراع الآلي " . (2)

و من هذا الصنف من يُغرق في التماذي في إنكار الأخلاق ، مثل نيتشة و غيرهم من الفلاسفة الذين يقولون إن الحضارة هي " القضاء على العدل و الأخلاق و ترك العنان لطبيعتنا الحرة السافرة لتفعل ما تشاء ، و لو أدى ذلك إلى أن تسير على الجماجم ... " إلى أن يقولوا : "إن الأخلاق ليست إلا اختراع الضعفاء ؛ لكي يقيدوا بها سلطان الأقوياء ، فلنكن حربا على الأخلاق . " (3)

أما الصنف الآخر من الماديين فهم كما يبدو من كتابات فهم لم يقصدوا التقليل من

(1) _ ول ديورانت (1885 _ 1981 م) مؤرخ أمريكي شهير ، من أعظم كتبه (قصة الحضارة) يقع في 42 مجلدا ، و التي تناول فيها تاريخ الحضارة منذ نشأتها و حتى العصر الحديث . ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2001 ، ج 01 ، ص 09 .

(2) _ أحمد شلي : من أبرز المؤرخين المصريين في العصر الحديث ، تخرج في دار العلوم ، و عمل أستاذا في العديد من الجامعات المصرية و العربية و الإسلامية و من أبرز مؤلفاته "موسوعة التاريخ الإسلامي " و تقع في 10 أجزاء ، و موسوعة الحضارة الإسلامية و تقع في 10 أجزاء . أنظر أحمد شلي : موسوعة الحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1993 م ، ج 02 ، ص 20 .

(3) _ نيتشة (1844 م _ 1900 م) فيلسوف ألماني و شاعر ، و أحد أهم الفلاسفة الغربيين تأثر به كثير من الفلاسفة و الكتاب و علماء النفس في القرن العشرين تأثرا شديدا ، له كتب منها " هكذا تكلم زرادشت " و " وراء الخير و الشر " ، أندريه كرش : المشكلة الأخلاقية و الفلاسفة ، ص 32 .

شأن الأخلاق ، إنما اعتبروا الحضارة لفظا ماديا بحتًا ، لا علاقة له بأخلاقيات الإنسان و هنا يبدو واضحاً في كلمات ابن خلدون " الحضارة هي التفنن في الترف و استجادة أحواله ، و الكلف بالصنائع التي تؤنق من أصناف و سائر فنونه ، من الصنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس ، أو المباني أو الفرش ، أو الأواني و لسائر أحوال المنزل ، و يلزم لهذا التأنيق صناعات كثيرة . "(1) و لا ريب أن ابن خلدون لا يقصد استبعاد الأخلاق و القيم من الحضارة ، حيث إنه يثبت لها دوراً أكيدا في بناء الأمم و لكن كما ذكرت فإنه كان يعتبر الحضارة لفظة مجردة تصف الحياة في الحضر ، و ما سيتبعها من تطور . (2)

و مما تقدم نلاحظ أن هناك تعريفات كثيرة للحضارة ، و هذا يعني أن الأمر ليس متفقاً عليه بين العلماء و المفكرين ، و لعل ذلك يرجع إلى أن الكلمة جديدة و مستحدثة و من ثم فهي تحمل معاني مختلفة عند كل مفكر ، كما يرجع أيضاً إلى أن اختلاف المناهج و الإيديولوجيات لكل مدرسة من مدارس الفكر الإنساني .

و من أجود الدلالات التي يمكن أن نجعلها خلاصة لماهية الحضارة هي ما قدمه الباحث المعاصر راغب السرجاني ، و الذي عرفها بأنها قدرة الإنسان على إقامة علاقة سوية مع ربه و البشر الذين يعيش معهم ، و كذلك البيئة بكل ما فيها من ثروات . و كلما زادت هذه العلاقة سموا ، زادت الحضارة رقياً و تقدماً ، و كلما قلّت هذه العلاقة و ضعفت ، صار الإنسان متخلفاً . و الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي حققت التفوق في العلاقات الثلاث . (3)

(1) _ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 879 .

(2) _ السرجاني: المرجع السابق ، ص 08 .

(3) _ نفسه : ص 08 .

نشأة الحضارة و أفولها :

إن قيام حضارة جديدة في مكان ما ، كان يعني زوال أخرى في مكان آخر ، و أرجع العلامة عبد الرحمن بن خلدون أسباب أفول حضارة و بالتالي قيام أخرى في مكان آخر إلى عوامل منها : (1)

1_ عوامل مادّية : كاتساع رقعة الملك ، و عدم خضوع الأطراف النائية للسلطة المركزية .

2_ عوامل اقتصادية : و نعني بها حالة الترف ، و الدّعة بعد فترة الاستقرار .

3_ عوامل اجتماعية : فالمجتمع خاضع للتطور المحتوم ، للدول أعمار كأعمار الأفراد . و تمر الحضارة في خمسة أطوار :

— الفتح و الاستيلاء و اكتساب المجد .

— طور استبداد صاحب الدولة على قومه ، و كبج جماعهم عن التّطاول .

— طور الفراغ و الدّعة ، فيميل صاحب الدولة إلى تحصيل المال ، و تخليد ذكره بالآثار ، مع تمجيد شخصه .

— طور القنوع و المسالمة ، يقنع الحاكم بما بناه أسلافه ، و يُسالم غيره من الحكام و أصحاب السُّلطات .

— طور الإسراف و التبذير ، حيث يصبح صاحب الدولة و بطانته أسير الملذات و الشّهوات ، فتصبح الدولة في حالة هرم ، و تسير بخطوات سريعة إلى الأفول . (2)

و الحضارة مع ذلك في نمو مستمر ، فهي متواصلة العطاء ، و قيمة أمة في ميزان بناء الحضارة يساوي ما قدّمته ، مطروحا منه ما أخذته تطبيقا للقاعدة :

قيمة كل أمة في ميزان بناء الحضارة يساوي ما أعطت و قدّمت ، مطروحا منه ما أخذت و اقتبست . (3)

(1) _ عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، دار البيان ، ص 170 ،

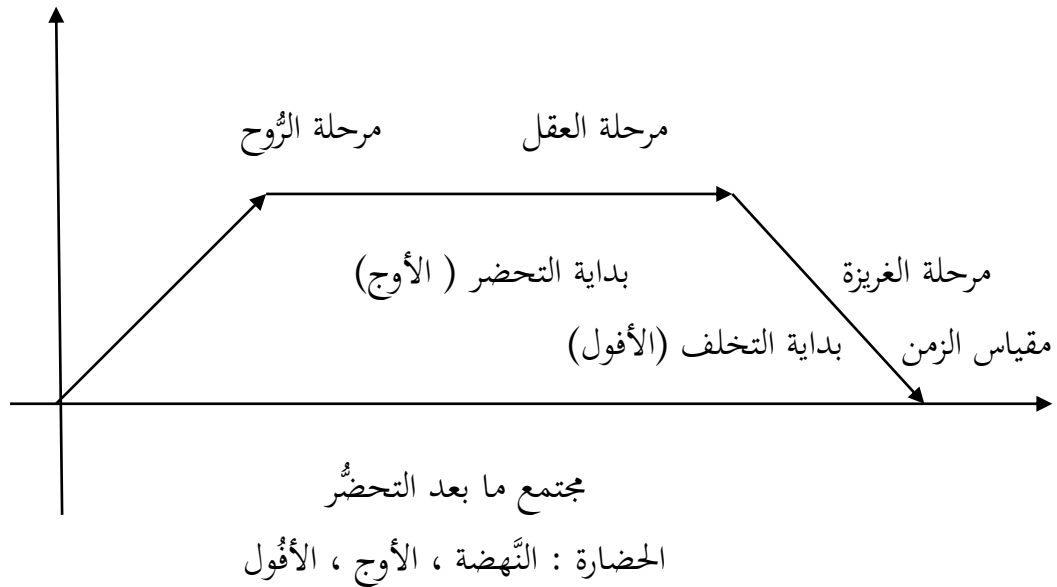
(2) _ شوقي أبو خليل : الحضارة الإسلامية ، ص 36 .

(3) _ شوقي أبو خليل : الحضارة العربية الإسلامية و موجز عن الحضارات السابقة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2002 ، ص 37 .

محاضرات في الحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي في العصر الوسيط

و يمكن تلخيص ما سبق ذكره في المخططين التوضيحين التاليين :

قيمة أمة ما = ما أعطت و قدّمت _ ما أخذت و اقتبست



ثانيا السبل إلى تحقيق التقدم الحضاري من منظور الحضارة الإسلامية : ولتحقيق

التقدم والرقي الحضاريين عدة سبل:

- 1_ ما ينزل به الوحي، أو يفيض به الإلهام.
 - 2_ ما يتوصل إليه العقل بالبحث العلمي.
 - 3_ ما يكتسبه الإنسان عن طريق الاختبار والتجربة والممارسة التطبيقية مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص، وما يستدعيه الكمال.
- أما الصنف المادي لصور التقدم والرقي عند الناس فالسبيل الطبيعي إليه إنما هو استخدام العقل في البحث العلمي والاختبار والتجربة والممارسة التطبيقية العملية، مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص وما يستدعيه الكمال.
- وقد يُسعف الوحي أو يفيض الإلهام بشيء من ذلك فنجد أخصر طريق إلى الكمال فيه.
- وأما الصنف الذي يخدم المجتمع الإنسان فالتقدم والرقي فيه سبيلان:
- السبيل الأول:** التلقي التعليمي عن طريق الوحي، وذلك في كل ما تكفلت الشرائع الربانية ببيانه، ولا يعدل عن ذلك إلا متنكب سواء السبيل.
- السبيل الثاني:** استخدام العقل في البحث العلمي والاختبار والتجربة والممارسة التطبيقية العملية، مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص، وما يستدعيه الكمال.
- وأما الصنف الذي يأخذ بيد الناس إلى السعادة الخالدة، وهو المشتمل على المعتقدات والواجبات الدينية، وسائر التكاليف والآداب الشرعية التعبدية فالسبيل إلى تحقيق التقدم والرقي فيه إنما يكون بالتلقي التعليمي عن طريق الوحي فقط⁽¹⁾.

(1) _ عبد الرحمان حسن حنكة الميداني: الحضارة الإسلامية أسسها و وسائلها و صور من تطبيقات المسلمين لها و لحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم، دمشق، سوريا ، الطبعة الأولى ، 1418 هـ/ 1998 م، ص 20 .

ثالثاً الأسس الفكرية في بناء الحضارات الإنسانية

لكل حضارة من الحضارات الإنسانية أسس فكرية كانت لها هي القوة الدافعة والموجهة، والمحدد خط سيرها. ولذلك لا بد أن تكون المظاهر الحضارية لكل أمة نتائج ملائمة لمجموعة الأفكار والعقائد والتقاليد والعوامل النفسية المهيمنة عليها، يشهد لهذه الحقيقة الأمثلة التالية :

أولاً: كانت الأسس الفكرية عند اليونان الإغريق قائمة على تمجيد العقل ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون علومًا فلسفية ورياضية ونفسية وطبية، وفنونًا جمالية مختلفة. ولما كانت أسسهم الفكرية غير شاملة لحاجات الحياة كلها لم تستطع حضارتهم أن تعطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية⁽¹⁾.

ثانيًا: وكانت الأسس الفكرية عند الرومان قائمة على تمجيد القوة، والرغبة ببسط السلطان الروماني على الشعوب، لذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون إعداد أجساد قوية، وجيوش متقنة البناء، حسنة الاستعدادات والتدريبات الحربية، وأورثتهم هذه القوة سلطانًا ممتدًا في الأرض على شعوب كثيرة، غلبوها واستعمروها، واستغلوا خيراتها، كما أثمرت لهم أيضًا تشريع مجموعة من القوانين والتنظيمات المدنية والعسكرية

ولما كانت أسسهم الفكرية والنفسية غير شاملة لحاجات الحياة كلها لم تستطع حضارتهم أن تعطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية⁽²⁾.

ثالثًا: وكانت الأسس الفكرية عند الفرس قائمة على تمجيد اللذة الجسدية،

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 29

(2) _ نفسه : ص 29 .

محاضرات في الحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي في العصر الوسيط

والسلطان والقوة الحربية، ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون قصورًا فخمة، ومجالات كثيرة للترف المفرط، وجيوشًا حربية ذات بأس، بسطت سلطانهم على شعوب كثيرة غلبوها واستعمروها، واستغلوا خيراتها. ولما كانت أسسهم الفكرية والنفسية غير شاملة لحاجات الحياة كلها، لم تستطع حضارتهم أن تغطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية⁽¹⁾.

رابعًا: وكانت الأسس الفكرية عند الهنود قائمة على تمجيد القوى الروحية وتنميتها بقهر مطالب الجسد وكبت غرائزه، ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون مجموعة كبيرة من التعاليم الروحية التي أخذت بتناول الأمد صبغة ملل ونحل وديانات، ووجهتهم للتعلم بالعلوم الروحانية المختلفة، كالسحر وفنون الحيلة الخادعة للحواس، التي تعتمد على التلاعب بها، والتأثير على النفوس من ورائها ومنحتهم مهارات مختلفة في التأثير على الأحياء الشرسة، فكثرت فيهم حواة الثعابين والحيات والعقارب، ونحو ذلك من الهوام السامة المؤذية.

ولما كانت أسسهم الفكرية والنفسية غير شاملة لحاجات الحياة كلها لم تستطع حضارتهم أن تُعطي الصورة المثلى للحضارة الإنسانية⁽²⁾.

خامسًا أسس و أصول الحضارة الإسلامية :

(1) _ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 30 .

(2) _ نفسه : ص 30 .

نقذ الإسلام نقلات أو تحولات أساسية ثلاثة شكّلت المناخ الملائم للفعل الحضاري و هي :

أولا : النقلة التصورية الاعتقادية :

تعتبر أكثر النقلات أهمية ؛ لأنها بمثابة القاعدة التي انبنت عليها سائر التحولات ، حيث قامت بتحويل التوجه الإنساني من التعدد إلى التوحيد ، و من عباد العباد إلى عبادة الله وحده ، و من عشق الحجارة و الأصنام و التماثيل و الأوثان إلى محبة الله وحده . (1) و لقد تحدث القرآن الكريم عن هذه النقلة فقال الله عز و جل : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (2) (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (3)

ثانيا : النقلة المعرفية :

و فيما يتعلق بالنقلة الإسلامية الأخرى ، أو التحول الآخر ، فهو تحول معرفي عمل في صميم العقل من أجل تشكيله بالصيغة التي تُمكنه من التعامل مع الكون و العالم و الوجود ، بالحجم نفسه ، و الطُموح نفسه الذي جاء الإسلام لكي يمنحهما

(1) — عماد الدين خليل : مدخل إلى الحضارة الإسلامية ، المركز الثقافي العربي ، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى ، 1426هـ / 2005 م ، ص 18 .

(2) — سورة البقرة: 257.

(3) — سورة الأعراف: 157.

الإنسان . قال الله عز وجل (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)⁽¹⁾

ثالثا : النقلة المنهجية :

و تتعلق هذه النقلة المنهجية التي أتيح للعقل المسلم أن يتحقق بها ، ان يتشكل وفق مقولاتها و معطياتها ، امتدت باتجاهات ثلاثة السببية ، القانون التاريخي ، منهج البحث الحسي التجريبي .⁽²⁾

سادسا قيم الحضارة الإسلامية :

و بموازاة التحولات الثلاثة آنفة الذكر ، شهد عصر الرسالة تأكيدات متزايدة على جملة من القيم ذات الارتباط الوثيق بالفعل الحضاري ، أعانت بدورها على تعزيز المناخ الملائم لهذا الفعل و تمكينه من الاستمرار و هي كالتالي :

1_ المعرفة هي حجر الزاوية :

إن الكلمة الأولى التي تَنَزَّلَتْ على رسول الله ﷺ في غار حراء لم تكن نفيا أو سلبا ، لم تقل : لا تقتل ، لا تسرق ، لا تزن إلخ ، و إنما كانت تأكيدا و إيجابا و أمرا بفعل معرفي هو القراءة قال الله عز وجل (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)⁽³⁾

2_ النزوع إلى الأمام :

تضمن القرآن الكريم دعوة واضحة مؤكدة إلى أن ننظر إلى الأمام ، و ألا نلتفت للوراء ، إن هذا الالتفات ضرورات محددة في حالة التلقي عن الآباء و الأجد ، معطيات تشريعية أو تراثا معرفيا ، قد تستهدي به الأمم لتبين مواقع الخطأ و الصواب ، أما أن

(1) _ سورة العلق:1.

(2) _ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص 26 ، 32 .

(3) _ سورة العلق:1.

يكون عملا لا وعيا يقوم على التقليد الأعمى فسيجعلنا في حالة تعارض مع ما يريده القرآن الذي نعى على المشركين و المتخلفين أنهم كانوا يتشبثون بما فعله الآباء و الأجداد بغض النظر عن مدى سلامة هذا الفعل و منطقيته قال الله عز وجل (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ)⁽¹⁾ (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ)⁽²⁾

3_ التحذير من هدر الطاقة :

طالما أكدت المعطيات القرآنية و النبوية على رفضها لهدر الطاقة التي تعمل أحيانا في غير مجالاتها المرسومة ، فهي تدعونا إلى أن نتعامل مع الكتلة الكونية و أن نكشف عن قوانينها لتنمية الحياة التي سخرت إمكاناتها للإنسان من أجل التحقق باستخلافه العمراني في العالم بدلا من هدر الطاقة فيما هو خارج عن حدودها و إمكاناتها و ضرورات صيورتها الحضارية في الأرض .⁽³⁾

4_ مبدأ الاستخلاف :

لقد استخلف الله سبحانه الإنسان و أناط به مهمة تطويره و إعمارهِ و تذليل صعابه و الاستجابة لتحدياته من أجل تسوية أرضيته كي تكون أكثر ملاءمة لحياة مطمئنة تعلو على الضرورات ، بعد أن تتحرر منها ، و تكون أكثر قدرة على التوجه إلى السماء ، إلى خالقها I ، دون أن يجني ظهورها ثقل الجاذبية و ضرورات المادة الصلبة . و لقد ورد ذكر

(1) _ سورة يونس:78.

(2) _ سورة الزخرف:23.

(3) _ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص 37 .

الاستخلاف يتكرر أكثر من مرة في القرآن الكريم و من بين تلك المواضع (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا)⁽¹⁾ و قال عز وجل (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)⁽²⁾

5_ مبدأ التسخير

و هي يرتبط بسابقه أشد الارتباط و يعد بدوره ملمحا أساسيا من ملامح التصور الإسلامي للكون و العالم و الحياة و الإنسان ، و يتطلب اعتماد مناهج العلم و آلياته لتحويله إلى أرض الواقع ، و التحقق بعطائه السخي و لقد ورد ذلك في القرآن الكريم حيث قال الله عز وجل (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)⁽³⁾

6_ روح العمل و الإبداع :

و تتجلى في كثير من النصوص القرآنية و النبوية التي تدعو إلى العمل الجاد الدؤوب و منها قوله سبحانه و تعالى (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)⁽⁴⁾

7_ مجابهة التخريب و الفساد :

إن الإصلاح و الإعمار المنوطين بالاستخلاف مسائل تتداخل فيها كل الفاعليات

(1) _ سورة فاطر: 39.

(2) _ سورة الأنعام: 165.

(3) _ سورة إبراهيم: 33.

(4) _ سورة التوبة: 105.

الحضارية مادية و أخلاقية و روحية ، و إن أي ضرر أو إفساد يلحق بأحدهما ينعكس بشكل أو بآخر على الجوانب الأخرى و هذا واضح بين في أكثر من آية (1) ومنها قوله سبحانه و تعالى (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (2)

سابعاً : موازنة بين الحضارات القديمة و الحضارة الإسلامية :

نلاحظ مما تقدم أن معظم الحضارات البشرية تقف ضمن حدود ضيقة فكرية و نفسية و مادية (3).

أ- فلاحظ أن أسسها الفكرية غير شاملة لكل ما في الحياة من مجالات التقدم والارتقاء. فإذا اهتمت بالجانب الوجداني النفسي أهملت المجالات الأخرى العلمية والجسدية، وميادين العمل والإنتاج والابتكار والتحسين. وإذا اهتمت بالمجال المادي أهملت المجالات الأخرى الخلقية والسلوكية، ومجالات السمو

(1) _ عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ص 42 ، 43 .

(2) _ سورة التوبة: 109 و 110.

(3) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 117 .

النفسي الوجداني. وهكذا حالها بين اهتمام في جهة، وتقصير في أخرى⁽¹⁾.

ب - ونلاحظ أيضاً أن أسسها النفسية غير شاملة، فهي في معظم أحوالها سجينة الدوائر الأنانية، العنصرية، أو القومية، أو الطبقية، أو غيرها، فلا هي منطلقة وراء حدود دوائرها الأنانية إلى الشمول الإنساني بوجه عام، ولا هي مفتحة أبوابها لاستقبال الواردات الكريمة، المشبعت بإرادة الخير للإنسانية جمعاء.

ج - ونلاحظ أيضاً أن ميادين نشاطها محدودة لا تتجاوز رقعات من الأرض متميزة الحدود، وإن تسنى لها أن تمد نشاطها إلى غيرها، ومحدودة في طاقة من المجالات دون غيرها. وهكذا نلاحظ أن الأسس الفكرية، والنفسية، والمادية، لمعظم هذه الحضارات البشرية قاصرة، تدور ضمن حدود فكرية ونفسية ومادية غير شاملة.⁽²⁾

أما الحضارة الإسلامية فإنها مفتوحة الحدود، ممتدة الأرجاء، شاملة كل ما في الحياة من مجالات تقدم وارتقاء، في أسسها الفكرية والنفسية، والمادية. فهي حضارة لا تحدها حدود ضيقة من الفكر، فتحجبها من أي كمال من الكمالات. ب - ولا تحدها حدود ضيقة من النفس فتحصرها ضمن الدوائر الأنانية العنصرية أو القومية أو الطبقية، أو غيرها. ولكنها منفتحة الحدود النفسية انفتاحاً مقروناً بالتحريض على الانطلاق إلى الأبعاد الإنسانية كلها، تحمل إليها المحبة والرحمة، وإرادة الخير والسعادة للناس أجمعين، ثم إلى أبعاد أخرى أوسع من المجتمع الإنساني حتى تشمل كل ذي حياة بالرحمة والإحسان.⁽³⁾

(1) _ نفسه : ص 117 ؛ طه عبد العزيز الخطيب و آخرون : مراكز الحضارة الإسلامية (كتاب مشترك بين مجموعة مؤلفين) ، دار الاتحاد التعاوني للطباعة ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية الطبعة الثانية ، 1430 هـ / 2009 م ، ص 14 .

(2) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 117 ؛ طه عبد العزيز : المرجع السابق ، ص 74 .

- (3) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 119 . الحجي عبد الرحمان علي : جوانب

وأخيراً فإن الحضارة الإسلامية لا تحدها حدود مكانية، ولا حدود زمانية، فكل مكان من الأرض هدف لإقامة الحضارة الإسلامية عليه، وكل زمان من الدهر هدف لإقامة الحضارة الإسلامية فيه. وبهذين العنصرين "العالمية والشمول" تحتل أسس الحضارة الإسلامية قمة رفيعة من المجد الخالد، لم ترق إلى مثلها أية أسس حضارية أخرى. وذلك لأن ضيق الحدود الفكرية والنفسية والمادية الذي تعاني منه معظم الحضارات البشرية يجعلها مهما ارتقت عاجزة قاصرة، واقفة في السفوح، أو على الروابي والتلال، أما القمة الرفيعة فلا تصل إليها إلا طاقة مزدوجة القوة، أحد عنصريها العالمية، والعنصر الآخر الشمول. وهذان العنصران مجتمعان في الحضارة الإسلامية فحق لها أن تفخر بمجدها العظيم، وحق للمسلمين أن يفخروا بها، وأن يحتلوا بسببها قمة المجد الخالد، بين بناء الحضارات البشرية إذ هم عملوا بهديها، وطبقوا إرشاداتها تطبيقاً سوياً، وفهموها الفهم الصحيح، ووعوها الوعي السديد، وبذلوا في سبيل ذلك ما يملكون من قدرات فكرية وجسدية، فردية واجتماعية، وأحسنوا الانتفاع من الطاقات الكونية التي سخرها الله للإنسان⁽¹⁾.

فالحضارة الإسلامية فهي الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها، من مختلف جوانبها الفكرية والروحية والنفسية والجسدية والمادية الفردية والاجتماعية، ومن جميع المجالات العلمية والعملية. لذلك فهي جديرة بأن تمنح الأمم التي تلتزم بها وتسير في منهجها سيراً قويمًا الصورة المثلى للحضارة الإنسانية الراقية. وقد استطاعت أسس هذه الحضارة ووسائلها ومنهجها أن تدفع الأمة الإسلامية في حقبة من الدهر للارتقاء في سلم الحضارة المجيدة المثلى، على مقدار التزامهم بأسسها

من الحضارة الإسلامية ، مكتبة الصحو ، الطبعة الأولى ، 1399هـ / 1979 م ، ص ص 17 ، 18 .

(1) _ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 119.

ووسائلها ومنهجها السديد.

الفصل الثاني : مظاهر الحضارة الإسلامية العلوم النقلية

أولا : القرآن و علومه (علم التفسير)

ثانيا : السنة النبوية الشريفة

ثالثا : أثر القرآن والسنة في ابتكار كثير من العلوم الإسلامية

رابعا : تأسيس علمي النحو الصرف و تدوين المعجم

خامسا: تأسيس علوم البلاغة "المعاني والبيان والبديع

سادسا تأسيس علم الفقه الإسلامي، وتدوينه .

سابعا تأسيس علم أصول الفقه الإسلامي وتدوينه

ثامنا : نشأة علم التاريخ والتدوين فيه :

العلوم النقلية في الحضارة الإسلامية :

نشأة علم التفسير :

كان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ في حياته هو المرجع في فهم كتاب الله، وتبيين ما نزل الله للناس من شرائع وأحكام ونصائح ووصايا، مما يتعلق بقضايا الإيمان، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، وكل أنواع السلوك الظاهر والباطن، الجسدي والنفسي. وكان كبار الصحابة وأذكيائهم وفطنائهم يفهمون القرآن بسليقتهم في فهم اللسان العربي، الذي أنزل به القرآن، على تفاضل فيما بينهم في مقادير ما يفهمون منه، ومن الذين كانت لهم مفهومات واستنباطات رائعات في كتاب الله علي بن أبي طالب وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم⁽¹⁾.

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 447 .

للمزيد أنظر محمد حسين الذهبي : التفسير و المفسرون ، وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف بالمملكة العربية السعودية ،

وبرز في عصر الصحابة من العلماء بتفسير القرآن:

-عبد الله بن عباس، حبر الأمة "3 ق. هـ-68هـ" وكان أكثر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم رواية للتفسير، وقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، و عبد الله بن مسعود بن غافل "000-32 هـ" وقد كان من أعلام الصحابة الذين أخذ عنهم الشيء الكثير في التفسير، و -علي بن أبي طالب، وقد كانت له نظرات ذات عمق وبصيرة، وقد كان رضي الله عنه بحرًا من العلم، وكان قوي الحجة "23 ق. هـ-40 هـ"، و أبي بن كعب بن قيس بن عبيد من بني النجار "000-21 هـ". وغيرهم. ثم تكونت في عصر التابعين ثلاث مدارس للتفسير.

-المدرسة الأولى: مدرسة التفسير بمكة المكرمة، وإمامها عبد الله بن عباس رضي الله عنه، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم "3 ق. هـ-68هـ" واشتهر من تلاميذه: -التابعي: سعيد بن جبير "45-95 هـ"، و التابعي: مجاهد بن جبر، مولى بني مخزوم "21-104 هـ".⁽¹⁾

المدرسة الثانية: مدرسة التفسير بالمدينة المنورة، وإمامها الأول الصحابي: أبي بن كعب، من بني النجار، من الخزرج "000-21 هـ". أحد كتاب الوحي، كان قبل الإسلام حبرًا من أحبار اليهود، واشتهر من تلاميذ هذه المدرسة في التفسير: -أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري. أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب. وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودخل عليه 90-000" أو 93 هـ.

-التابعي: محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني من حلفاء الأوس، كان أبوه كعب من

و دار النوادر بالكويت ، 1431 هـ / 2010 م ، ج 01 ، ص 99 ، 116 .

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 447 .

سبي بن قريظة "000-108 أو 117 وقيل غير هذا." (1)

المدرسة الثالثة: مدرسة التفسير بالعراق. وإمامها الأول الصحابي عبد الله بن مسعود بن

غافل بن حبيب الهذلي "000-32 هـ" واشتهر من تلاميذ هذه المدرسة في التفسير:

-التابعي: علقمة بن قيس النخعي الهمداني، كان فقيه العراق وكان يشبه ابن مسعود في

هديته وسمته وفضله "000-62 هـ".

-التابعي: مسروق بن الأجدع الهمداني الوادعي، من أهل اليمن، سكن الكوفة، كان

أعلم بالفتيا من شريح القاضي "000-63 هـ." (2)

عصر التدوين:

بدأ التوسع في تدوين تفسير كتاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وسائر

علوم الدين، في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين.

وفيما يلي لمحات تفصيلية لهذا:

أولاً: لقد كان تدوين تفسير كتاب الله عز وجل في معظمه بمثابة باب من أبواب تدوين

السنة النبوية، المعتمدة على الرواية، ولو كان منفصلاً في كتاب خاص يأخذ عنوان تفسير

لكتاب الله عز وجل، ولم يقتصر هذا على تدوين المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل

اشتمل هذا التدوين على ما أثار عن الصحابة والتابعين.

فكان ممن دون في التفسير من أئمة الحديث تدويناً مشابهاً لتدوين المرويات من الأحاديث

والآثار، الأعلام المذكورون فيما يلي:

-شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، الواسطي ثم البصري، من أئمة رجال الحديث

(1) _ نفسه : ص 447 ، 448 .

(2) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 448 .

للمزيد أنظر محمد حسين الذهبي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص ص 118 ، 132 .

حفظاً ودراية وتثبتاً، قال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق 160-82هـ".
-وكيع بن الجراح بن مريح الرؤاسي، حافظ للحديث ثبت، كان محدث العراق في عصره، له كتب منها: "تفسير القرآن" و"السنن" 129-197هـ".
-سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث الحرم المكي، من الموالى، ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، له "الجامع" في الحديث، وكتاب في "التفسير" 107-198هـ.⁽¹⁾

اهتمام المسلمين بالسنة النبوية :

و في مجال اقتباس المعرفة التي جاء بها الإسلام، وصعوداً في سلم الارتقاء الحضاري الذي دعا إليه، اتجه المسلمون بعد العناية التامة بالقرآن المجيد، شطر العناية ببيانات الرسول صلى الله عليه وسلم القولية والعملية، وصفاته الخلقية والذاتية، وإقراراته وموافقاته وسيرته.⁽²⁾

ولم يأذن الرسول صلى الله عليه وسلم أول الأمر لعامة المسلمين بكتابة ما يسمعون منه من أحاديث وبيانات، خشية اختلاط شيء منه بما كانوا يكتبون من القرآن الكريم؛ لأن المسلمين كانوا في بداية تحولهم من أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب إلا قليلاً، إلى أمة قارئة كاتبة تدون معارفها، وتأخذ طرقها ومسالكها صاعدة إلى العلم، ومتريقة في معارج الحضارة المثلى.⁽³⁾

و بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم غدا أصحابه الأجلاء هم المرجع للمسلمين في نقل صورة صادقة لحياته، في أقواله وأعماله وصفاته وإقراراته وسائر سيرته.

(1) _ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص ص 449 ، 450 .

(2) _ نفسه : ص 457 .

(3) _ نفسه : ص 458 .

وأخذ عشاق العلم الإسلامي الكثيرون من التابعين يتلقفون من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم جميع ما كانوا وعوه وحفظوه من سنته. وقامت حركة علمية نشيطة قادها نوابغ من التابعين، لحفظ العلم النبوي وجمعه، اقتباسًا من الذين أخذوه مباشرة من الرسول، أو شهدوه من حياته، أو أخذ بعض الصحابة عن بعض، وكانت عمدتهم الكبرى الأخذ مشافهة، وحفظ ما يسمعون. وأخذ تدوين السنة النبوية يتزايد شيئًا فشيئًا، اعتمادًا على ما يتلقاه الحريصون عليها من التابعين، على سبيل المشافهة أو الأمالي من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. وإذا توزع بسبب الفتوحات الإسلامية علماء الصحابة وكبار علماء التابعين في بلدان العالم الإسلامي، وإذا كانت السنة النبوية موزعة في صدورهم، وغير مجموعة عند واحد منهم، وغير مجموعة في كتاب واحد، أو مدونة واحدة، فقد كان على طلابها أن يتابعوا العلماء بها إلى البلدان التي هم فيها، فظهرت في المسلمين الرحلات لطلب الحديث النبوي وسماعه وتسجيله، حتى كان بعض الصحابة يرحل لسماع حديث من صحابي آخر ليأخذه عنه، أو ليوثق به سماع نفسه من الرسول صلى الله عليه وسلم . (1)

وفي ضوء المنهج الرائع الذي وضعه علماء الحديث من المسلمين لضبط ما روي مضافًا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحريره وتنقيحه، ونفي الشوائب الدخيلة، اتسعت الحركة العلمية بتنافس عجيب للاستزادة من جمع وحفظ ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وصفات وإقرارات، حتى ظهر في المحدثين من يختص بلقب الحافظ، أو يختص بلقب الحاكم، وربما بلغت محفوظات بعضهم مئات الألوف من متون الأحاديث وأسانيدها، وليس كل هذا الجم الغفير صحيح النسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن علماء الحديث كانوا يحفظونه ويسجلونه ويقدمونه للنقد والتحرير وتمييز

(1) _ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 462 .

الصحيح من غيره، وفق المنهج العلمي العام، الذي انتهوا إليه في تحرير مرويات الأخبار، فما صح منها حكموا بصحته، وما ترجحت صحته حكموا بحسنه، وما لم يكن كذلك حكموا بضعفه وتوهينه، وأما ما اقترن بما يدل على أنه موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم يعلنون الحكم عليه بالوضع والسقوط، مع بيان السبب الذي استندوا إليه في كل ما يحكمون به⁽¹⁾.

وواكب هذا الاندفاع المنقطع النظير لجمع الحديث وحفظه ظاهرة حضارية متصلة به، ألا وهي ظاهرة تصنيف كتب الحديث، وكتب تراجم الرجال الرواة له، فظهرت خلال القرنين الثالث والرابع من التاريخ الهجري وما بعدهما مصنفات كثيرات، ذوات ميزات مختلفات، فمنها ما اقتصر على الصحاح، ومنها ما لم يقتصر عليها، ومنها ما كان الهدف منه جمع أحاديث في موضوع معين، ومنها المسانيد، والمسند هو ما تذكر فيه الأحاديث على أسماء الصحابة حسب سوابقهم في الإسلام، أو حسب أنسابهم، ومنها المختصرات، ومنها الجوامع الكبرى المرتبة على وفق حروف المعجم، إلى غير ذلك. وهذه هي كنوز جهودهم الحضارية المشكورة تزرع بها مكتبة المسلمين، فيما هو مطبوع منها، وما هو مخطوط، وهي مئات المصنفات المراجع. و منها على سبيل المثال: (2)

كتاب "الموطأ" للإمام دار الهجرة "مالك بن أنس 93-179هـ" أمير المؤمنين في الحديث، وقد استغرق في تأليفه لهذا الكتاب قرابة أربعين سنة، انتقاه واصطفاه من نحو مائة ألف حديث، وعرضه على سبعين فقيها من فقهاء المدينة.

كتاب "الجامع الصحيح" للإمام "أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري 194-256هـ" وقد ظل البخاري يعمل في جمعه ست عشرة سنة.

(1) _ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 463 .

(2) _ نفسه : ص 464 .

قال علماء الحديث: هذا الكتاب أصح الكتب بعد القرآن المجيد. وللبخاري هذا مصنفات كثيرات: "منها التواريخ الثلاثة" الكبير والأوسط والأصغر " وكتاب "الأدب المفرد"، وكتاب "الضعفاء" وغيرها.

كتاب "صحيح مسلم" وهو للإمام "أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري 204-261هـ" وبنو قشير قبيلة عربية. ويأتي صحيح مسلم مكافئاً أو مقارباً لصحيح البخاري صحة وثبوتاً. وللإمام مسلم كتب غير هذا الكتاب، ومنها كتاب "المسند الكبير" وهو على أسماء الرجال، وكتاب "الجامع الكبير" وهو على الأبواب. (1)

إلى غير هذه المصنفات من كتب كثيرة أبرزت ظاهرة حضارية رائعة، في جانب من جوانب العلم، وهو علم السنة النبوية. وتبع مدونات الحديث والمرويات من السنة مؤلفات كثيرات تناولت السنة النبوية بالشرح والتفسير والتحليل، واستنباط الأحكام والتعليمات والتوجيهات، والعلوم التي اشتملت عليها. وقد قام بها جلة من علماء المسلمين، وكانت هذه من الظواهر الحضارية التي انفردت بها الأمة الإسلامية، دون أن تقتبسها من أمة سلفت. (2)

ثالثاً : أثر القرآن والسنة في ابتكار كثير من العلوم الإسلامية :

تفرع عن إيمان المسلمين الصادقين بالقرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة إيمانهم بعدة حقائق كبرى، منها الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن الله أنزل كتابه القرآن بلسان عربي مبين، ضمن قواعد لسان العرب، وأساليبهم البيانية، وطرقهم الكلامية التي كانت سائدة بينهم إبان نزول القرآن على

(1) _ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 464 .

(2) _ نفسه: ص 470 .

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وإيمان المسلمين بهذه الحقيقة، مع تخوفهم على لسان الأمة العربي من الفساد باختلاطهم الكثير بغير العرب، دفع نوابغهم لضبط اللغة العربية، وتقعيد قواعدها، ورسم قوانينها وأساليبها، أخذًا من واقعها العربي الصافي، الذي لم تعكره الشوائب. (1)

الحقيقة الثانية: أن القرآن والسنة مشتملان على أصول العقيدة التي جاء بها الإسلام، وعلى طرق الهداية إليها البيانية والجدالية. وإيمان المسلمين الصادقين بهذه الحقيقة، مع ظهور مجادلين في بعض مسائل العقائد وأركان الإيمان، دفع أهل العقل والرشد والبحث العلمي الرصين، إلى تأسيس علم يشرح أركان الإيمان ومسائل العقائد، بالاعتماد على الأدلة النصية والعقلية، وقد اشتهر هذا العلم باسم: "علم الكلام" (2)

الحقيقة الثالثة: أن القرآن والسنة مشتملان على أصول الشريعة التي جاء بها الإسلام، الشاملة للعبادات والمعاملات والأخلاق، وسائر أنواع السلوك الفردي والجماعي الديني والدنيوي.

وإيمان المسلمين الصادقين بهذه الحقيقة، دفع علماءهم وفقهاءهم إلى استنباط أحكام الشريعة الإسلامية ووصاياها في مختلف أنواع السلوك الإنساني، فنجم عن ذلك ما يلي: أولاً: تأسيس "الفقه الإسلامي" وهو علم يشتمل على الأحكام الشرعية العملية، المستمدة من أدلتها التفصيلية في الكتاب والسنة، والأدلة التي هدى إلى الاعتماد عليها (3). ثانياً: تأسيس علم "أصول الفقه" وهذا العلم هو من مبتكرات الأمة الإسلامية، وهو علم يشتمل على القواعد والضابطة لاستنباط أحكام الشريعة من أدلتها التفصيلية.

(1) _ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 471 .

(2) _ نفسه : ص 472 .

(3) _ نفسه : ص 473 .

ثالثًا: تأسيس علم "الأخلاق والآداب" الإسلامية، فهمًا أو استنباطًا من مصادر التشريع الإسلامي.

رابعًا: تدوين السيرة النبوية، وسير الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين، لما في هذه السير من خدمة للكتاب والسنة وما يستنبط منهما.

خامسًا: تدوين التاريخ الإسلامي والإنساني تأسيًا بقصص القرآن والسنة.

سادسًا: ضبط وتدوين الروايات الصحيحة الثابتة للقرآن الكريم في ألفاظه وتلاوته وأدائه، فيما يعرف بعلم "القراءات".

سابعًا :وابتكرت فروع علوم كثيرة انطلاقًا من هذه الحقيقة الثالثة، ولا تزال هذه الحقيقة منبعًا ثرًا لإضافة مبتكرات من العلوم في النفس والتربية والاجتماع البشري، والظواهر الكونية، وكلما جد في البحوث الإنسانية جديد⁽¹⁾.

رابعًا تأسيس علمي النحو الصرف و تدوين المعجم :

لما بدأت بوادر اللحن تدبُّ إلى ألسنة بعض أبناء العرب؛ بسبب كثرة اختلاطهم وامتزاجهم بالأعاجم الذين دخلوا في الإسلام، نتيجة الدعوة الإسلامية التي واكبت الفتوح، هبَّ نوابغ من العلماء ذوي العقل والرشد من المسلمين لضبط اللغة العربية في متن مفرداتها، وقواعد تصريفها ، وما تَدُلُّ عليه اختلاف الصيغ من المعاني، ولضبط حركات أواخر كلماتها باختلاف أحوال مواقعها من الجملة العربية.

وكان الهدف من هذا العمل حفظ واقع هذه اللغة الرفيعة بين اللغات، بصورتها الكاملة التي كانت عليه إبان المدة التاريخية التي أنزل فيها القرآن، وعاش فيها رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يُبَيِّنُ للناس ما نُزِّلَ إليهم، وغرضهم من هذا الحفظ حفظ القرآن كما أنزل، وحفظ السنة المبينة له، وأن يكون ضبط أصولها وقوانينها وسيلة لفهم معاني

(1) _ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 474 .

القرآن والسنة فهمًا صحيحًا، وإدراك دلالات نصوصهما إدراكًا دقيقًا سليمًا مهما تعاقبت العصور⁽¹⁾.

خطة العمل:

تعددت جوانب العلم الذي قام به نوابغ علماء المسلمين، لضبط اللسان العربي، فكان منها إتباع الخطة التالية:

العمل الأول:

استخدام طريقة الاستقراء، فالاستنباط والتعليل، فالقياس، مع وضع المصطلحات العلمية للنتائج التي توصلوا إليها، بعد جهد مضن، في عمل دائب، وصبر مديد⁽²⁾.
فكان من نتائج هذا العلم، تقعيد قواعد اللسان العربي، ورسم قوانينه، وتمييز أساليبه، وتحديد ضوابطه التي ترتبط بها دلالات مفرداته وجمله وتراكيبه المختلفة.
وكان من ثمرات هذا العمل ابتكار علوم النحو والصرف والاشتقاق، وطائفة أخرى من البحوث المتعلقة بهذا الشأن، حتى صار لدى المسلمين كنز حضاري ثمين، ثم به ضبط لسان العرب، بصورة لا نظير لها في ألسنة الشعوب غير العربية⁽³⁾.

العمل الثاني:

جمع مفردات هذا اللسان العربي، في عملية إحصاء واسعة النطاق، مع ضبطها، وتصنيفها بحسبه اشتقاقاتها، وتحديد معانيها، وتسجيل النتائج التي توصلوا إليها مرتبة مصنفة في المعجمات الصغرى والكبرى، مع تدعيم ما توصلوا إليه من نتائج بالشواهد من كلام العرب⁽⁴⁾.

(1) _ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 477 .

(2) _ نفسه : ص 481 .

(3) _ نفسه : ص 482 .

(4) _ نفسه : ص 482 .

العمل الثالث:

جمع النصوص العربية التي تمثل آداب العرب، في شعرهم، ونثرهم، وحكمهم، وأمثالهم، ونوادرهم، وقصصهم، ونحو ذلك. وتم هذا الجمع عن طريق رواية الشعر الذي يسمعه متتبعوا البحث، من شعراء العرب أنفسهم، أو من رواقتهم له. وعن طريق رواية النثر مما يسمعه المتتبعون من رفيع كلام العرب، أو من رواقتهم له، وفق منهج لم يتيسر لهم أفضل منه. وعن طريق التقاط الحكم والأمثال المتداولة بين العرب الذين لم يتسرب اللحن والتغيير إلى ألسنتهم . (1)

وعلى هذا النسق كان جمع سائر نصوصهم، وقد أثمر هذا العمل ثمرات عظيمة ظهرت في دواوين الشعر العربية الأصول، وفي كتب الأمثال، وكتب الحكمة وكتب أخبار العرب و قصصهم ، وكان للإسلام فضل عظيم على هذه الأمة وعلى لغتها، ولولا القرآن والإسلام لكانت اللغة العربية في عداد اللغات المندثرة منذ قرون (2).

مرحلة نضج علمي النحو والصرف:

لم تطل المدة التي أخذ فيها علما النحو والصرف يتكاملان، حتى استوفيا حظهما من النضج؛ إذ تعهدهما بعد أبي الأسود الدؤلي علماء البصرة بالتنشئة والتربية حتى منتصف القرن الثاني للهجرة، ولم يستهل العصر العباسي إلا وهما يدرسان في البصرة والكوفة. ثم أخذتا يتسارعان بالنماء إلى مرحلة النضج على أيدي علماء مدرستين متنافستين:

-أركان إحداهما البصريون.

-وأركان الأخرى الكوفيون.

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 482 .

(2) _ نفسه : ص 482 .

واستمر هذا التنافس قرابة نصف قرن، وما اقترب القرن الثاني الهجري من نهايته حتى كان علما "النحو والصرف" مندمجين علماً شاباً مترعرًا قويًّا، وبدأ ينضج ويكتمل، واستمر في هذا الطور حتى استوفى حظه من النضج في نحو نصف قرن آخر، على أيدي علماء البصرة، وعلماء الكوفة، في مدرستيهما المتنافستين، اللتين اجتمع شملهما وتوحدتا في بغداد منذ انتهى طور النضج .

ولم يبق في هذا العلم لمن وراء علماء البصرة والكوفة ممن جاء بعدهم من البغداديين، فالشاميين، والمصريين، والأندلسيين إلا البسط والترجيح، والتفسير والتعليل والتنقيح، وحسن الجمع والتصنيف، وبعض تحريرات وزيادات. (1)

خامسًا تأسيس علوم البلاغة "المعاني والبيان والبديع :

من أجل خدمة للقرآن كتاب الله المجيد، وحرصًا على إبراز بعض جوانب إعجازه البياني، اجتهد علماء المسلمين بحثًا، وتنقيحًا، واستخراجًا، حتى وضعوا علوم البلاغة الثلاثة: "المعاني، والبيان، والبديع." وذكر علماء البلاغة أن أول من دون مسائل علم البيان أبو عبيدة "معمر بن المثنى" التيمي بالولاء، من أهل البصرة، كان من أئمة العلم بالأدب واللغة، ولادته ووفاته "110-209هـ". وظهر هذا في كتابه "مجاز القرآن." (2)

و من أشهر علماء المسيلة "ابن رشيق الحسَن بن رشيق القيرواني 390-463هـ" وهو أديب، نقاد، باحث، ولد في "المسيلة" بالمغرب، ورحل إلى القيروان، فقد جمع في كتابه: "العمدة" قرابة سبعة وثلاثين نوعًا من أنواع البديع. ثم "شرف الدين أحمد بن يوسف القيسي التيفاشي 580-651هـ" من أهل تيفاش "من قرى قفصة بإفريقية" تعلم بمصر وولي القضاء ببلده، له عدة مؤلفات. ثم "عبد العظيم العدواني، المشهور بابن

(1) - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 483 .

(2) _ نفسه ص 500 .

أبي الإصبع 595-654هـ" البغدادي، ثم المصري، شاعر من العلماء بالأدب، له تصانيف حسنة، منها كتابه "بديع القرآن" "فقد أوصل أنواع البديع إلى تسعين نوعًا. ثم "صفي الدين عبد العزيز بن سرايا السنبسي الطائي الحلي 677-750هـ" وهو معروف باسم "صفي الدين الحلي" ولد في الحلة "بين الكوفة وبغداد" فأوصل أنواع البديع إلى مائة وأربعين نوعًا، يمكن جمع بعضها في بعض. ثم "عز الدين علي بن الحسين الموصل - ... 89هـ" شاعر أديب، من أهل الموصل، أقام مدة في حلب، وسكن دمشق وتوفي بها. (1)

وكانت علوم البلاغة الثلاثة من نفائس الابتكارات، التي استخرج قواعدها وأصلها علماء الأدب المسلمون، ذوو الأذواق الأدبية الرفيعة بلسان العرب، اللسان الذي اصطفاه الله جل جلاله، لإنزال القرآن المجيد به، وهو خاتمة كتبه للناس أجمعين. فمن حق الحضارة الإسلامية أن تفتخر بابتكار علوم البلاغة "المعاني، والبيان، والبديع . (2)

سادسا تأسيس علم الفقه الإسلامي، وعلم أصوله، وتدوينهما

نشأ الفقه الإسلامي، وهو "العلم بالأحكام الشرعية العملية المستمدة من أدلتها التفصيلية" نشأة إسلامية فذة، بدءًا بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، فعصر الخلفاء الراشدين، فمن بعدهم، حتى ظهور الأئمة المجتهدين الذين قيض الله لهم من تلاميذهم من دَوَّن آراءهم الفقهية، ومذاهبهم ومن توسعوا في الاجتهاد ضمن أصول ومناهج الأئمة للتوصل إلى استنباط حكم شرعي لكل ما يتطلب حكمًا شرعيًا من سلوك الناس الإرادي في الحياة (3). حتى كانت للأمة الإسلامية ثروة فقهية عظيمة، في مدونات جليلات

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 500 .

(2) _ نفسه : ص 502 .

(3) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 505 .

مدهشات، منها الموسع المفصل المبسوط والمقرون بالأدلة، ومنها المتوسط، ومنها الموجز المختصر، ومنها الشروح والتعليقات والتقريرات والحواشي، ومنها الجامع لآراء المذاهب ومناقشاتهم وجدلياتهم وأدلتهم في آرائهم الفقهية المختلفة⁽¹⁾.

سابعاً تأسيس علم أصول الفقه الإسلامي وتدوينه :

ظهرت جدليات حول اعتماد بعض الفقهاء في تقرير الأحكام الفقهية أو استنباطها، على بعض مناهج وأصول خالفهم فيها آخرون، فدعت الحاجة إلى إقامة البراهين والأدلة المقبولة شرعاً على صحة ما هو صحيح منها، وعدم صحة ما هو غير صحيح منها، وعلى ترجيح ما هو الأرجح منها على غيره، مع بعض اختلاف في وجهات النظر. فظهرت مكتوبات أولى على شكل رسائل تتضمن قواعد تأصيلية لما يجب الاعتماد عليه، ولما يجوز الاعتماد عليه، ولما لا يجوز الاعتماد عليه. ويعتبر أتباع المذهب الحنفي أن أول من صنف في علم أصول الفقه "أبو حنيفة النعمان" إمام المذهب في كتاب له اسمه "كتاب الرأي" قالوا: وقد بين فيه طرق الاستنباط. ويرى الآخرون أن أول من وضع "علم أصول الفقه" هو الإمام الشافعي في الرسالة التي كتبها لعبد الرحمن بن مهدي الإمام الحافظ، وأعاد تصنيفها لما رحل إلى مصر، والموجود الآن هي الرسالة الجديدة.⁽²⁾

ثامناً : نشأة علم التاريخ والتدوين فيه :

أبان القرآن المجيد كيف أنشأ الله بحكمته الإنسان الأول وزوجه، وكيف بث منهما السلالات البشرية، وأن الغاية من هذا الخلق ابتلاء الناس المؤهلين للابتلاء في ظروف

(1) _ نفسه : ص 505 .

(2) _ نفسه : ص 519 .

الحياة الدنيا⁽¹⁾. وأبان القرآن المجيد قصص طائفة من أنبيائه ورسله ورسالاته للأمم منذ عهد آدم حتى بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وكيف كانت دعوة الرسل لأقوامهم، وكيف واجهت الأقوام والأمم دعوات رسل ربهم عليهم الصلاة والسلام. ومن هذه القصص ما كان مجملًا، ومنها ما اقترن بتفصيل ما تدعو الحكمة إلى تفصيله من أحداث. وأبان أيضًا مصير مكذبي رسل الله من الأمم السابقة، وهو الهلاك والتدمير، بمقتضى حكمة الله العلي القدير⁽²⁾.

وأبان أن من الرسل من قص علينا لقطات من قصصهم، ومنهم من لم يقص علينا شيئًا من قصصهم، مشيرًا إلى أن أحوال من لم يقص علينا قصصهم مشابه لأحوال من قص علينا لقطات من قصصهم؛ لأن سنة الله عز وجل في الخلق واحدة، لا تبدل لها ولا تحويل. والمتتبع لقصص القرآن يلاحظ بوضوح أنها حقائق تاريخية منتقيات، لما فيها من عبر وعظات، ولما فيها من بيان لظواهر الاجتماع البشري، في مجال السلوك الإرادي الإنساني، مقابل كون البشر موضوعين في الحياة الدنيا موضع الامتحان، ولما فيها من دلالات واضحات على سنة الله الثابتة في العدل⁽³⁾ والجزاء، ضمن ظروف الابتلاء، وهذه السنة لا تبدل لها ولا تحويل.

وأبان القرآن المجيد صفات الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - الخلقية، وجاء في نجوم التنزيل منه بيان لأحداث مهمة من سيرته مع كفار قومه، وسيرته مع أصحابه، وسيرته مع زوجاته، وسيرته في غزواته. وتابع بالتعليق التوجيهي على أهم أحداث سيرته وسيرة الذين كانوا معه منذ بعثته حتى وفاته. وكان هذا التوجه القرآني هو الأساس الباعث

(1) _ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 523 .

(2) _ نفسه : ص 523

(3) _ نفسه : ص 524 .

والموجه لكتابة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده، استفادة مما جاء في القرآن، وتتبعًا للمرويات في السنة . (1)

ودخلت قصص الأنبياء والمرسلين وأقوامهم، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتب التاريخ، باعتبارها جزءًا من التاريخ الإنساني، ثم أفرد كل منهما بمؤلفات خاصة، منها المطول ومنها المختصر، ومنها المحرر المنقح، ومنها الجامع الموسع الذي ينقصه التحرير والتنقيح والإتقان (2).

الفصل الثالث :

(1) _ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 526

(2) _ نفسه : ص 526 .

العلوم العقلية و التجريبية

علم الرياضيات

علم الفلك

علم الطب و الصيدلة

علم الكيمياء

علم الفلاحة و النبات :

الفصل الثالث : العلوم العقلية و التجريبية

وجد المسلمون في النصوص الإسلامية ما يحثُّهم على النظر والبحث في آيات الله الكونية، في الأرض، وفي السماء، وفي الأنفس، وكان هذا هو الباعث لهم على الاهتمام والاشتغال بالعلوم الكونية والطبيعية المختلفة؛ لأن الاشتغال

بحثًا في الكونيات من شأنه أن يكشف للباحث المتفكر ذي النظر الفاحص المدقق صفات الأشياء، وخصائصها، وأسبابها، وعللها، وكيفيات معالجتها، وقوانينها، وطرائق الاستفادة منها، مع ما تدل عليه من عظمة الخالق الذي أتقن كل شيء صنعًا بإبداع من لدنه، وأنه واحد في ربوبيته لكونه، وفي إلهيته لعباده، لا شريك له. والنصوص القرآنية التي تتضمن الأمر أو التوجيه للنظر والتفكير في آيات الله في الكون، في الأرض والسموات والأنفس كثيرة، منها النصوص التالية⁽¹⁾:

والتوجيه للنظر والتفكير في آيات الله في كونه كثير في القرآن المجيد، وتأثرًا بهذا التوجيه الفياض انطلق المؤهلون من علماء المسلمين يبحثون في الكونيات، في الأرض وفي السماوات وفي الأنفس، لمعرفة خصائص الأشياء وقوانينها وطرائق الاستفادة منها، وكان لهم اكتشافاتهم الخاصة، وابتكاراتهم بحسب الإمكانيات التي تهيأت لهم في سلم الارتقاء الحضاري، حتى تجمعت عليهم نكبات مختلفات متواترات من الغرب والشرق، فأوقفت حركة ارتقائهم الحضاري المتجدد⁽²⁾.

الرياضيات :

ثبت لدى الباحثين أن العلوم الرياضية ميدان اشتركت فيه القرائح المختلفة، من مختلف الأمم والشعوب، ولم يكن الابتكار والإنتاج التراكمي فيها منحصرًا في أمة من الأمم، فقد كان للبابليين والمصريين والإغريق والهنود والعرب وغيرهم من الشعوب، ثم المسلمين أنصبه من الابتكار والإنتاج فيها، ومساهمات في إنشائها وتنميتها، حتى وصلت إلى ما وصلت

(1) — جينكة الميداني : المرجع السابق ، ص 547 .

(2) — نفسه : ص 548 .

إليه حين بدأت النهضة الغربية في أوروبا. وثبت لدى الباحثين أن أقدم الآثار الرياضية قد وصلت إلينا من بابل، ومن مصر، وقد انتقلت هذه الآثار إلى الإغريق فأخذوها وزادوا عليها. وثبت أن بعض النظريات والبحوث التي كانت تنسب إلى اليونان هي من وضع علماء بابل ومصر. وبالتفكر يظهر لنا أن عوامل نشوء ونمو العلوم الرياضية وارتقائها قبل النهضة الغربية متعددة، فمنها ما يلي:

- ارتباط كثير من مصالح الإنسان ومنافعه الدنيوية الحياتية، ومعاملاته المالية، وأعماله العمرانية، بالرياضيات "الحساب والهندسة".

- رغبة كثير من أهل النظر الفكري العميق في البحث عن المجهول للوصول إلى المعرفة وكشف الحقيقة، والاستمتاع بلذة العلم، قبل استغلال ما تم كشفه في المنافع المادية الحياتية، وتركيب الآلات وإنشاء المصانع⁽¹⁾.

- رغبة المتفكرين الموهوبين من أهل الإيمان في التعرف على سنن الله في كونه، وما يُسيطر عليه من أنظمة وقوانين حكيمة، لتقديمها أدلة وشواهد على وجود الرب الخالق المبدع الحكيم، وعلى ما تدل عليه من صفاته.

- رغبة بعض ذوي المواهب في التقرب إلى الملوك والسلطين، الذين كانوا يكرموا العلماء المبتكرين المبدعين، ويغدقون عليهم المكافآت الوافرات⁽²⁾.

وقد برع المسلمون في العلوم الرياضية، وأجادوا فيها، وكانت لهم إضافات جليلات أثارت الإعجاب والدهشة لدى المنصفين من علماء الغرب وغيرهم، فاعترفوا بفضولهم وأثرهم الكبير في تقدم العلم والعمران تقدمًا ارتقائيًا.

واطلع المسلمون على حساب الهنود، فأخذوا عنه نظام التزقيم بدلًا من الحروف

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 556 .

(2) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 557 .

الأبجدية، وقد كان لدى الهنود أشكال عديدة للأرقام، فاصطفى المسلمون منها وهذبوا صورتين للأرقام:

- عُرِفَت إحداهما باسم الأرقام الهندية، وهي التي يستعملها المسلمون في معظم الأقطار العربية والإسلامية، وصورتها: "1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12" وهكذا.

عرفت الأخرى باسم الأرقام الغبارية؛ لأن بعض الهنود الذين كانوا يكتبون على أشكال هذه الأرقام كانوا يسطون غبارًا لطيفًا على لوح، ويرسمون بأصابعهم عليه هذا الشكل من الأرقام، وهي التي انتشر استعمالها في بلاد المغرب والأندلس، وعن طريق الأندلس دخلت صور هذه الأرقام إلى أوروبا، وعرفت لدى الأوروبيين باسم الأرقام العربية (1)

وصور هذا الأرقام قائمة على حساب الزوايا في كل رقم، فرقم واحد له زاوية واحدة ورقم اثنين له زاويتان وهكذا. وبمرور الزمن دخل على هذه الأرقام تحسين في رسم خطوطها، وتنوسي حساب الزوايا فيها، حتى صارت كما هي عليه الآن في العالم الغربي وغيره. وكان الهنود يستعملون الفراغ ليدل على الخانة التي ليس فيها رقم، فوضع المسلمون رسم الصفر في خانة الفراغ، وكان لهذا التحسين أثر تسهيلي جليل في الحساب؛ إذ كانت صعوبة إيجاد فراغات في الخانات التي لا رقم لها قد يتطلب جعل الأرقام مربعات، وترك مربع الخانة التي لا رقم لها فارغًا.

والأرقام التي اصطفاها المسلمون من الأرقام الهندية تقوم على النظام العشري، وعلى أساس القيم الوضعية؛ إذ يكون للرقم قيمتان، قيمة في نفسه وقيمة بالنسبة إلى الخانة التي يوجد فيها، فرقم "7" مثلاً في الخانة الثانية إلى الشمال هو سبعون، وفي الخانة الثالثة إلى

الشمال هو سبعمائة، وهكذا إلى سائر الخانات التي توضع إلى جهة الشمال بالتسلسل وهذا النظام هو من الابتكارات الأساسية والرئيسية ذات الفوائد العظيمة في الأعمال الحسابية.

ووضع المسلمون علامة الكسر العشري، وعرفوا شيئاً عنه، ويذكر في هذا المجال اسم العالم الرياضي "غياث الدين جمشيد الكاشي" الذي ابتكر الكسور العشرية قبل "ستيفن" بأكثر من "175" سنة، على ما ذكر "قديري حافظ طوقان" (1).
8- وللمسلمين مؤلفات كثيرة في الحساب مشحونة بوفرة من الأمثلة والتمارين. وقد ترجم الغربيون بعضها، وتعلموا مما ترجموا، وكان لها أثر كبير جداً في تقدم هذا العلم تقدماً ارتقائياً (1).

وكان المسلمون هم أول من اشتغل في علم "الجبر" وأتوا فيه بالعجب العجاب. وهم أول من أطلق لفظه "جبر" على المعلم المعروف الآن بهذا الاسم، وعنهم أخذ الإفرنج هذه اللفظة، وهم أول من ألف فيه بصورة علمية منظمة. ويرجع الفضل في ابتكار هذا العلم إلى "الخوارزمي" (2).

ووضع المسلمون حلولاً جبرية وهندسية لمعادلات مختلفات التراكيب ابتدعوها. وسبق علماء المسلمين بعد الخوارزمي إلى استعمال الرموز في الأعمال الرياضية، وهذه الرموز قد سهلت في حل المعادلات، وتقدم الرياضيات العالية على اختلاف فروعها تقدماً ارتقائياً.

وابتكر المسلمون في الرياضيات ابتكارات قيمت كانت محل إعجاب علماء الغرب، وقد سبقوا في بعض البحوث "رينيه ديكارت 1590-1650م" الفيلسوف والرياضي

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 558 .

(2) _ نفسه : ص 558 .

والفيزيائي الفرنسي.

وصار التراث الإسلامي في الرياضيات حافزاً لعلماء إيطاليا وإسبانيا، ثم لبقية علماء بلدان أوروبا، لدراسة الرياضيات والاهتمام بها. ورجح "قذري حافظ طوقان" أن المسلمين قد مهدوا ببعض القوانين الجبرية التي وضعوها لاكتشاف "اللوغارتمات" عند علماء الفلك، على خلاف ما يدعي بعض علماء الإفرنج. وترجم المسلمون من اليونانية كتاب "إقليدس" وهو مبدأ العلوم الهندسية، إلى اللغة العربية، وتفهموه جيداً، وزادوا على نظرياته، ووضعوا بعض أعمال عويصة، وتفننوا في حلولها. (1)

وألفوا كتباً على نسقه، وأدخلوا فيها قضايا جديدة لم يعرفها القدماء. وبرز في هذا المجال العبقرى "ابن الهيثم" وقد سبقت ترجمته. وكان للمسلمين مؤلفات عديدة في المساحات والحجوم، وتحليل المسائل الهندسية، واستخراج المسائل الحسابية بجهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي، وكان لهم استخراجات أخرى في موضوعات مختلفات، مع ربطها بمعادلات جبرية، إلى غير ذلك مما يتعلق بالموضوعات التي تحتاج إلى استعمال الهندسة. وللعبقرى "ابن الهيثم" في هذا مقالات جليات. (2)

علم الفلك :

وجّه المسلمون عناية فائقة لعلم الفلك، وكانت البداية منذ عهد الخليفة "أبي جعفر المنصور" الخليفة العباسي الثاني، فقد كان شغوفاً بالمشتغلين بعلم الفلك، وشجع على ترجمة الكتب فيه إلى العربية، وشحذ هم الباحثين العلماء، وأغرق عليهم العطايا،

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 559

(2) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 559 .

وأحاطهم بالعناية والرعاية. واقتدى بالمنصور في هذا الخلفاء الذين أتوا بعده⁽¹⁾.

ولم يقتصر علماء المسلمين على الترجمة، بل صححوا كثيراً من أغلاط الكتب التي ترجموها، وأضافوا إلى الصحيح منها ما توصلوا إليه ببحوثهم الخاصة. وألف المسلمون جداول "تسمى الأزياج" في حركات الكواكب⁽²⁾.

وفي زمن "المأمون" ظهر علماء مسلمون كثيرون، ألفوا في علم الفلك، وعملوا أرصاداً وأزياجاً جليلة تقدم بها هذا العلم تقدماً ارتقائياً مثيراً للإعجاب، ولم يقفوا في علم الفلك عند حد النظريات، بل خرجوا إلى الرصد الفعلي والأعمال التجريبية⁽³⁾.

ولعلماء المسلمين نظريات خاصة في البصريات وغيرها، وهي لا تزال معتمدة إلى وقتنا الحاضر، ومنها ما شرحه "ابن الهيثم" في كتابه "المناظر" وقد اكتشف بعض أخطاء السابقين في البصريات، وقدم وشرح ما رآه صواباً، وأقرته عليه العلوم الفيزيائية التجريبية التي جاءت بعده بقرون. والمسلمون أول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة، وأثبت علماءهم الفلكيون استدارة الأرض ودورانها على محورها. والمسلمون قد ضبطوا حركة أوج الشمس، وتدخل فلكها في أفلاك أخرى وللمسلمين جداول دقيقة لبعض النجوم الثابتة، وبلغ ولع المسلمين بعلم الفلك إلى درجة جعلت بعضهم يصنع في بيته هيئة السماء، فالناظر إليها تترآى له أخيلة النجوم والغيوم والبروق والرعود⁽⁴⁾.

ووجه المسلمون عنايتهم لبناء الأرصاد الفلكية، فأقاموا بعضها في دمشق، وفي بغداد،

(1) _ نفسه : ص 560 .

(2) _ نفسه : ص 560 .

(3) _ نفسه : ص 560 .

(4) _ حبكة الميداني : الحضارة الإسلامية ، ص 560 .

وفي القاهرة، وفي غيرها من بلدان العالم الإسلامي. واشتهرت الأعمال التي عملها الفلكيون المسلمون بالاستناد إلى هذه الأرصاد بالدقة، وقد اعتمد عليها علماء أوروبا في عصر النهضة وما بعدها في بحوثهم الفلكية. وابتكر المسلمون آلات مختلفات لأعمال الرصد، لا داعي لذكر أسمائها وصفاتها، وقد اعترف الإفرنج بأن المسلمين قد أتقنوا صناعة هذه الآلات، على الرغم من أنها كانت صناعات يدوية⁽¹⁾.

الطب و الصيدلة :

أبدع علماء المسلمين في ميادين الطب والصيدلة ، فلم يكونوا مجرد نقله ومقلدين متبعين لمن سبقهم من الأمم في هذا المجال؛ بل ترجموا، ونقلوا، وجربوا، وهذبوا وابتكروا، وأقاموا معارفهم في هذه الميادين على التجربة ، والاختبار ، والملاحظة ، والتعليل ، والتفسير وإعادة التجربة، ودراسة مختلف الاحتمالات، وملاحظة النتائج، بغية الوصول إلى الأحسن فالأحسن تأثيراً، ونفعاً، وجمالاً .⁽²⁾

ونقح علماء المسلمين نظريات وآراء من سبقهم في الطب والعلاجات، وأضافوا إليها كثيراً من اكتشافاتهم، وكانت زياداتهم مبنية على المنهج التجريبي العملي وملاحظة النتائج، ولم يتوقفوا عند التعليلات والتفسيرات الفلسفية التي أبعدت الفكر اليوناني عن اتباع المنهج التجريبي، فجعلته يتبع أوهاماً كثيرة لا أسس لها من الصحة.

أنشأ الخليفة الأموي "الوليد بن عبد الملك" في دمشق أول مستشفى عام "88هـ". ثم انتشرت المستشفيات في جميع أنحاء الدولة الإسلامية، ضمن أنظمة ضابطة، وكانت على نوعين:

(1) _ نفسه : ص 561 .

(2) _ نفسه : ص 563 .

النوع الأول: خاص ببعض الأمراض المعدية، أو الأمراض التي لا يُرجى برؤها بعد تمكنها كالجدام. وفي هذا النوع قسم للرجال، وقسم للنساء.

النوع الثاني: هو للأمراض غير المعدية وغير المتمكنة، وهي مستشفيات عامة. وفي هذا النوع أيضاً قسم للرجال، وقسم للنساء . (1)

مدارس تعليم الطب:

أسس خلفاء بني العباس مدارس لتدريس علم الطب، في البصرة، والكوفة، وبغداد، ودمشق، وغيرها. وكانت مدارس الأندلس الطبية هي المدارس الوحيدة في أوروبا، التي تخرج أطباء مؤهلين في الجراحة، وهي تحتوي على دراسة نظرية، ودراسة عملية تعتمد على تدريب الطلاب قبل التخرج، فمن نجح ونال الإجازة سمح له بأن يزاول مهنة الطب تحت رقابة الدولة طب العيون، واهتم المسلمون بطب العيون، وقد كانوا الفاتحين فيه، والمتفوقين. وقد وضع علماء المسلمين قواعد لطب العيون. (2)

علم الكيمياء :

كان للمسلمين اهتمام بالغ في علم الكيمياء المبني على التجربة، والملاحظة، ورصد النتائج، والاستعانة بالعلوم الرياضية، ودأب المشتغلون منهم في هذا المجال وتجولوا في البلدان بحثاً عن تجارب الناس وما اكتسبوه من خبرات عملية، ودونوا ما توصلوا إليه من معارف، حتى صارت الكيمياء علماً صحيحاً بفضل جهودهم الطويلة، وتجرباتهم الكثيرة التي أفادوا منها علماً، وأفادوا منها في حياتهم، وقدموا بها للصناعات منافع كثيرة كانت لها آثارها الطبية في الرقي الحضاري ومما ينبغي التنبيه عليه أنهم استعملوا القياس في تجرباتهم،

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 563 .

(2) _ نفسه ص 563 .

واجتهدوا اجتهادات مضيئة للحصول على معلومات جديدة لم تكن معروفة للناس من قبل (1).

وكان اعتمادهم على التجربة المتابعة بالتكرار والتحسين والتجويد، والمصحوبة بالمراقبة ودقة الملاحظة، والمقترنة باختبار مختلف الاحتمالات وملاحظة نتائجها، مع استخدام ما كان لدى الناس وما ابتكروه من أدوات وآلات، سبباً في تمكينهم من استنتاج نتائج جديدة جليلة، وإضافة معلومات جوهرية في علم الكيمياء، وسبباً في توصلهم إلى ابتكارات واكتشافات كثيرة، وتقدم بهم علم الكيمياء تقدماً واسعاً (2).

وقاد المنهج التجريبي علماء المسلمين الذين اشتغلوا بالكيمياء لاختراع التصفية، والتبخير، ورفع الأثقال، واستخدام الموازنة في الكيمياء. وبه توصلوا إلى استخدام عمليات التقطير، والترشيح، والتصفيد، والتذويب، وإلى اكتشاف واختراع وسائل ذلك.

وبه اكتشفوا بعض الأجزاء الكيميائية ذات الأهمية، وبه استخرجوا الكحول "الغول" من المواد السكرية، والنشوية، واكتشفوا القلويات، والنشادر، ونترات الفضة، وحامض الطرطير، والراسب الأحمر. وكانوا أول من استحضر حامض الكبريتيك، وحامض النتريك، والماء الملكي "حامض النتر وهيدروكلوريك" وماء الذهب، والصودا الكاوية، وكربونات البوتاسيوم، وكربونات الصوديوم. واستخدموا الزرنيخ، والإثمد، ومواد كثيرة أخرى.

وما توصل المسلمون إليه بالعمليات الكيميائية التي أجروها، وما اكتشفوه أو اكتشفوا تأثيراته من المواد الكيميائية، هو من العناصر التي تقوم عليها الصناعات الحديثة في القرن العشرين الميلادي. واستخدم المسلمون علم الكيمياء في الطب، والصناعات، وصنع

(1) _ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 570 .

(2) _ نفسه : ص 571 .

العقاقير، وتركيب الأدوية، وتنقية المعادن، وتركيب الروائح العطرية، ودبغ الجلود، وصنع الأقمشة⁽¹⁾.

علم الفلاحة و النبات :

اقتبس المسلمون من مختلف شعوب الأرض أحسن ما توصلوا إليه في الفلاحة والاستنبات، والغرس، والتلقيح، والتطعيم، والسقي، وإمداد الأرض بالسماذ، وتعهّد الزروع والثمار حتى تبلغ غاية نضجها وصلاحها، ومعرفة ذكور النباتات وإناثها. واقتبسوا أحسن الطرق للانتفاع بالزروع والثمار رطبة أو يابسة، وأحسن الطرق لتجفيف الرطب منها وادّخاره.

وكانت لهم عناية فائقة بالورود والرياحين ونباتات وأشجار الزينة، وعناية بالنباتات الدوائية، حتى كانت ساحات دور السكن عندهم بمثابة حدائق غناء، تجتمع فيها الورود والرياحين ونباتات وأشجار الزينة، وبعض الأشجار المثمرة، كالحمضيات، وكأشجار العنب التي تمتد على العرايش، فتعطي ظلًا وثمرًا طيبًا

ونقلوا أنواعًا من النباتات الأرضية والشجرية إلى بلاد نائية لم تكن تعرف فيها، ورافق ذلك الفتوح الإسلامية التي امتدت في الشرق والغرب، ورافق ذلك تنقل المسلمين في مختلف قارات الأرض، وتنقلهم الأمن في أرجاء الدنيا.

وكان لأمراء المسلمين في البلدان النائية تأثير في جلب ونقل كثير من النباتات والأشجار التي يحبون أن تكون في حدائقهم وبساتينهم، مما كان في أرضهم التي نزحوا

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 572، 575 .

عنها، أو مما شهدوه في الأرض التي أقاموا فيها، أو مروا عليها.

وبعد حُسن الاقتباس، وانتقاء أجود تجارب الشعوب وأفضلها، كان للمسلمين تجاربهم الخاصة، أضافوا بها تحسينات وابتكارات لم تكن معروفة من قبلهم. وعن بلدان العالم الإسلامي نقل الغريون كثيراً من النباتات الأرضية، فاستنبتوها في أراضيهم، وأخذوا كثيراً من بروز الأشجار وفسائلها، وبذروها أو غرسوها في أراضيهم.⁽¹⁾ وشواهد هذه الحقائق ما تزال ماثلة في مزارع بلدان العالم الإسلامي، وبساتينه، وحدائق كثير من دور السكن فيه. وتتبع علماء المسلمين خصائص النباتات وما في كثير منها من فوائد علاجية دوائية أو غذائية، ودونوا ما توصلوا إليه من معلومات منقولة، ومعلومات كانت نتيجة تجربات قاموا بها بأنفسهم. ويجد المتبعون لما كتب في اللغة العربية بأقلام المسلمين مؤلفات كثيرات جداً، تذكر النباتات وتصفها وتبين ما فيها من خصائص للغذاء أو للدواء.

وامتلات حوانيت ومخازن العطارين بأصناف كثيرة من مجففات النباتات العلاجية المجلوبة من الصحاري والجبال والبساتين؛ إذ كان الأطباء يصفونها في علاجاتهم، وكانت للشعوب تحريات لكثير منها، فهم يشترون من العطارين منها ما يعتقدون النفع فيه للتغذية أو التقوية أو الدواء وتعرف الغريون عن طريق المسلمين على الفوائد العلاجية، لكثير من النباتات التي كانت تباع في أسواق العطارين في بلدان العالم الإسلامي، فصاروا يشترون منها مقادير وفيرة، ويصنعون منها الأدوية والعقاقير في بلدانهم، ضمن قوارير شراب، أو مضغوطة في حبوب، ويستعملونها في بلادهم، ويصدون منها إلى بلدان العالم الإسلامي وسائر بلاد الأرض.⁽²⁾

(1) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 576 .

(2) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 577 .

وما تزال الصناعات الدوائية في العالم تعتمد على خصائص النباتات التي كانت تتركب منها الأدوية، إلا أن معظم مصانع الأدوية صارت تستخدم بدائل كيميائية للعناصر الكيميائية المؤثرة في العلاج، والتي تشتمل عليها النباتات الدوائية، لكن كثيراً من العلماء المحققين يرون أن البدائل الكيميائية لا تطابق النسب الحكيمة الموجودة في النباتات، ومن أجل هذا تكون تأثيراتها الجانبية الضارة أكثر من التأثيرات الجانبية الضارة التي قد تشتمل عليها النباتات الدوائية، وقلما توجد هذه التأثيرات الجانبية الضارة في النباتات، إذا أخذت بالمقادير المناسبة، أو أضيف إليها ما يعدلها، ويدفع أضرارها⁽¹⁾.

الفصل الرابع :

المؤسسات الوقفية في الحضارة الإسلامية و دورها في الحياة العلمية

البيمارستانات أنموذجاً

(1) _ قصي حسين : من معالم الحضارة العربية الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1414هـ / 1993 م ، ص 219 ، 227 ؛ عبد الرحمان حسن جبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 577 .

يعد الطب من أوسع مجالات العلوم التجريبية التي كان للمسلمين فيها إسهامات إبداعية بارزة عبر مساهمهم الحضاري . و لم يقتصر إبداع العلماء المسلمين في العلوم الطبية على علاج الأمراض فحسب بل تعدّاه إلى تأسيس منهج تجريبي أصيل انعكست آثاره الراقية على جميع الممارسة الطبية وقاية و علاجا ، أو مرافق و أدوات ، أو أبعادا إنسانية و أخلاقية تُسيّر الأداء الطبي.⁽¹⁾ و من بين المجالات التي تتجلى فيها قمة الإسهامات الإسلامية في الطب هي مجال إنشاء البيمارستانات . فما هي دلالة كلمة البيمارستان ؟ و ما أبرزها في التاريخ الإسلامي ؟

1_ ماهية البيمارستان :

(1) _ راغب السرجاني : قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة لدار الكتب ، الطبعة الأولى ، 1430 هـ / 2009 م ، ص 09 .

البيمارستان بفتح الراء و سكون السين ⁽¹⁾ ، كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل ⁽²⁾ ، و (ستان) بمعنى مكان أو دار المرضى ، واختُصِرَت فيما بعد في الاستعمال فأصبحت تُلفظ "مارستان" . وأُطْلِقَت هذه اللفظة على المستشفيات في العصور الإسلامية وأخذت أحياناً تسمية أخرى، هي " دار الشفاء " وهي بمثابة المستشفيات العامة التي تعالج فيها جميع الأمراض الباطنية والجراحية والرَمَدِيَّة والعقلية. ولما أصابتها الكوارث هجرها المرضى إلا من المجانين حيث لم يكن لهم مكان سواها فأصبحت الكلمة مرتبطة بهؤلاء المرضى فقط ولقد انتشرت البيمارستانات انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي. ويستعمل المغاربة لفظ بيمارستان بمعنى بيمارستان للأمراض العصبية فقط، ولم يتم العثور على أي مرادف لكلمة البيمارستان في المصادر التاريخية ولم يستخدم المسلمون سوى لفظ كلمة البيمارستان، حتى نهاية العصر العباسي. ⁽³⁾

2_ نشأة البيمارستانات في الحضارة الإسلامية :

تعتبر البيمارستانات أحد المؤسسات الوقفية التي أسسها المسلمون ، و بذلوا في سبيل ازدهارها العديد من الأوقاف ، و تعتبر هذه المؤسسات الاستشفائية من مظاهر تطور الطب ، بحيث لم يكن العلماء المسلمون في ميادين الطب والصيدلة مجرد نقلة ومقلدين متبعين لمن سبقهم من الأمم في هذا المجال، بل ترجموا ونقلوا وجربوا وهذَّبُوا وابتكروا، وأقاموا معارفهم في هذه الميادين على التجربة والاختبار والملاحظة والتعليل والتفسير وإعادة التجربة، ودراسة مختلف الاحتمالات، وملاحظة النتائج، بغية الوصول إلى الأحسن فالأحسن تأثيراً ، ونفعاً ، وجمالاً⁽⁴⁾. و لم يتوقف الأمر عند هذا فحسب بل قاموا بالاستعانة بالكثير من أطباء الفرس و الروم ، و استفادوا من نظام البيمارستانات الموجودة في بلادهم مثل

(1) _ ابن منظور : المصدر السابق ، ج 06 ، ص 217 .

(2) _ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ص 47 .

(3) _ فراج : فضل علماء المسلمين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، د.ت ، ص 168 .

(4) _ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : المرجع السابق ، ص 561 .

بيمارستانجنديسابور⁽¹⁾. فانتشرت البيمارستانات من بغداد شرقاً حتى الأندلس غرباً ، و عكست البيمارستانات تطور الطب في العالم الإسلامي .

3_ تأسيس البيمارستانات في الحضارة الإسلامية

أولاً: نشأة البيمارستانات في عصر النبوة و الخلافة الراشدة :

كانت المعرفة الطبية عند العرب قبل الإسلام قائمة أساساً على التجربة ، و الخبرة المكتسبة من الأمم المجاورة ، و لم يكن لهم أماكن خاصة لعلاج المرضى ، و بعد ذلك اشتهر أطباء في عصر النبوة مارسوا الطب ، و من بينهم الحارث بن كلدة ، الذي استدعاه الرسول _ صلى الله عليه و سلم _ عندما مرض سعد بن أبي وقاص في مكة ليعالجه⁽²⁾ كما أن النبي صلى الله عليه و سلم أقام خيمة لمعالجة جرحى غزوة الخندق⁽³⁾، و يمكن اعتبار هذه الخيمة البدائية أول بيمارستان في الإسلام .⁽⁴⁾ أما في عصر الخلافة الراشدة لم يُعرف سوى البيمارستان الفارسي في مدينة

(1) _ جنديسابور : مدينة بخوزستان ، و يقال لها الخور ، و هو إقليم واسع بين البصرة و فارس ، بناها سابور الأول الساساني ، و فتحها أبو موسى الأشعري عقب فتحه إقليم تستر من جنديسابور ، شهدت شهرة بفضل معهداتها الصحي و كانت لغة التعلم السائدة فيه هي الآرامية ، و تم إلحاق بيمارستان بهذا المعهد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان ، 1996 م ، ج 02 ، ص 170 .

(2) _ ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، ص 688 ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 161 .

(3) _ ابن هشام : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 688 .

(4) _ أنيس مؤمن عبد الله البابا : البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير في التاريخ ، قسم التاريخ و الآثار ، إشراف رياض مصطفى أحمد شاهين ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين ، 1430 هـ /

جنديسابور⁽¹⁾ وواصل نشاطه حتى خلافة أبي جعفر المنصور (136هـ _ 158هـ) (754م _ 775م) .⁽²⁾

ثانيا : البيمارستانات في العصر الأموي (41هـ _ 132هـ) (661_749 م)

اتسم العالم الإسلامي إبَّان خلافة معاوية بن أبي سفيان و دولة بني أمية بانتشار الأوقاف و تغلغلها في المجتمع الإسلامي ، و حرص الجميع من العامة و الخاصة على إنشاء الأوقاف بكافة أنواعها ، و بمختلف مراميها⁽³⁾. و لقد شهد عهد الوليد بن عبد الملك (86 هـ _ 96 هـ) (705م _ 714م) في سنة (88هـ / 706 م) إنشاء أول بيمارستان فعلي ثابت بدمشق و سبَّله للمرضى ، و قد أبدى الوليد اهتماما خاصًا بمرضى الجذام⁽⁴⁾ ، و منعهم من سؤال الناس ، و أوقف عليهم بلدا يدرُّ عليهم أرزاقا ، كما أمر لكل مُقعد خادما ، و لكل ضرير قائدا .⁽⁵⁾ و لم تكن المستشفيات مجرد دور علاج ، بل كانت كليات طب حقيقية إلى أرقى مستوى .

ثالثا : البيمارستانات في العصر العباسي (132هـ _ 656هـ) (749م _ 1258م)

انتشرت البيمارستانات في العصر العباسي بشكل واسع ، و تم تشجيع الأطباء و شيدوا المدارس الطبية التابعة للبيمارستانات ، و دعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي حضر إليها الأطباء من كافة البلاد و الأقاليم التابعة للدولة ، و بدأت هذه البيمارستانات تأخذ شكلا حضاريا

(1) _ القفطي : تاريخ الحكماء ، تحقيق فون بولوسليبرت، ألمانيا، 1908، ص 163 ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 184 .

(2) _ القفطي : المصدر السابق ، ص 72 ، 106 .

(3) _ راغب السرجاني : روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية ، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2010 ، ص 90 .

(4) _ الطبري : تاريخ الأمم و الملوك ، ج 04 ، ص 29 .

(5) _ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي النداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1415هـ - 1998 م ، ج 04 ، ص 292 .

فائقا انتظمت بها مهنة الطب ، و أصبحت وظيفة مرموقة ، و تنافس الخلفاء و السلاطين و الميسورون على تشييدها ؛ فقد حث الخليفة أبو جعفر المنصور على إنشاء البيمارستانات ، و من أشهر بيمارستان للعميان و دار للأيتام و القواعد من النساء ، وخصص مكانا للمجانين (1) كما اهتم الخليفة هارون الرشيد (170هـ _ 185 هـ) (786 م _ 801 م) ببناء البيمارستانات ، فأقام بيمارستانا كبيرا في بغداد (2) و زوده بمكتبة علمية ضخمة ، و هذه الفكرة استفادها من البيمارستانات الفارسية . (3)

و يعتبر تأسيس البيمارستانات في بغداد انطلاقة مركزية للطب العربي نحو الإبداع و التميز ، حيث أصبحت البيمارستانات أكثر تخصصا في فروع الطب ، فأصبحت فيها الجراحية ، و الكحالة (4) و الطبائعيون (5)، و المجبرون (6) ، و النفسانيون ، و منها أقسام للرجال و أخرى للنساء .

رابعا : نشأة البيمارستانات الإسلامية في عهد الدولة الطولونية (254هـ _ 292 هـ) (871 م _ 905 م)

شهد هذه الفترة تطورا جليا للبيمارستانات ، حيث تم تأسيس أول بيمارستان في عهد الأمير أحمد بن طولون سنة 259هـ / 873 م و أطلق عليه اسم البيمارستان الأعلى أو العتيق (7) ووصف بأنه " عجيب " لما به من خدمات و مرافق . (1)

(1) _ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق إحسن عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1968 م ، ج 02 ، ص 314 .

(2) _ القفطي : المصدر السابق ، ص 164 ؛ ابن أصيبعة : المصدر السابق ، ص 188 .

(3) _ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 188 .

(4) _ الكحالة : من يقومون بعلاج أمراض العيون . ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 416 .

(5) _ الطبائعيون : المختصون بالأمراض الباطنية . ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 416 .

(6) _ المجبرون : المختصون بتجبير كسر العظام . ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 416 .

(7) _ القلقشندي : صبح الأعشى ، تحقيق يوسف الطويل ، دار الفكر ، دمشق ، 1987 م ، ج 01 ، ص 49 ؛

خامسا: البيمارستانات الإسلامية في عهد الدولة السلجوقية :

اهتم السلاجقة ببناء البيمارستانات ، و من أشهرهم السلطان السلجوقي طغرل بك (429هـ _ 455 هـ) (1037 م _ 1036 م) الذي أصدر أمرا بالمحافظة على عمارة البيمارستان العضدي (2) و شبه هذا البيمارستان بالقصور الفخمة نظرا للاهتمام الكبير به . (3)

سادسا : البيمارستانات في عهد الدولة الإخشيدية : شهدت الدولة الإخشيدية إنشاء العديد من البيمارستانات منها بيمارستان كافور الإخشيدى بالفسطاط (4)

سابعا البيمارستانات الإسلامية في عهد الدولة العبيدية (الفاطمية)

ظهر عدد من البيمارستانات في عصر الدولة العبيدية (الفاطمية) و منها البيمارستان العتيق و هو من بيمارستانات دمشق المشهورة . (5)

وظائف البيمارستانات الإسلامية :

تعتبر البيمارستانات الإسلامية مؤسسات صحية ذات تعليمية تكوينية ؛ حيث ساهمت في تخريج الأطباء الذين ألفوا عددا من الكتب الطبية في رحاب البيمارستان ، فالرازي أقبل على دراسة الطب في البيمارستان و أظهر أهمية الطب السريري داخل البيمارستان ، و أظهر أهمية الجلوس إلى جانب أسرة المرضى لمعرفة حالتهم الصحية و العناية بهم ، و له مؤلفاته في طب

-
- المقريزي : المواعظ ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مصر ، 1987م ، ج 03 ، ص 165 ؛ أبو المحاسن : النجوم ، ج 01 ، ص 327 .
- (1) _ المقريزي : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 384 .
- (2) _ عبد الحسين الرحيم : الخدمات العامة في بغداد ، ص 158 .
- (3) _ ابن جبير : الرحلة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ص 185 .
- (4) _ المقريزي : الخطط ، ج 01 ، ص 344 .
- (5) _ القلقشندي : مآثر ، ج 01 ، ص 139 ؛ المقريزي : اتعاظ الخفاء ، ج 01 ، ص 127 ؛ الحميري : الروض المعطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1980 م ، ج 01 ، ص 240 .

البيمارستانات ، حيث ألف كتابا أسماه "الحاوي" ، و كتاب "الجامع" لصناعة الطب ، و كتاب "المنصوري".⁽¹⁾ و لقد توصل الأطباء أثناء مناظراتهم العلمية داخل البيمارستانات إلى أفكار طبية جديدة تخالف آراء القدماء في معالجة كثير من الأمراض و تصحيح كثير من المفاهيم حول مهنة الطب.⁽²⁾ كما قامت البيمارستانات الإسلامية بدور جليل في علاج جرحى الجيوش الإسلامية خلال المعارك و خاصة في الفتوحات الإسلامية على غرار معركة فتح عموية⁽³⁾.

5_ أنواع البيمارستانات الإسلامية :

كان للبيمارستانات نوعان: ثابت ومحمول

أ_ البيمارستانات الثابتة :

و هو ما كان بناء ثابتا في جهة من الجهات لا ينتقل منها ، وهذا النوع كان كثير الوجود في عدد من البلدان الإسلامية لا سيما في العواصم كالقاهرة وبغداد ومدمشق. . . الخ. ولا يزال أثر بعضها باقيا على مر الدهور إلى الآن ، كالبيمارستان المنصوري قلاوون الآن بالقاهرة، والبيمارستان المؤيدي بالقرب من القلعة بالقاهرة أيضا، والبيمارستان النوري الكبير بدمشق والبيمارستان القيمري بها أيضا، وبيمارستان أرغون بجلب⁽⁴⁾

ب _ البيمارستان المحمول (المتنقل)

و هو الذي ينقل من مكان إلى مكان بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها وكذا الحروب، كان هذا النوع من البيمارستانات معروفا لدى خلفاء الإسلام وملوكهم وسلاطينهم

(1) _ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 421 ، 732 ؛ القفطي : المصدر السابق ، ص 116 .

(2) _ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 731 ؛ بدران : منادمة الأطلال و مسامرة الخيال ، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1985م ، ج 01 ، ص 253 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 222 .

(4) _ أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، مطبعة جمعية التمدن الإسلامي ، دمشق ، سوريا ، 1939 ، ص ص 01 ، 10 .

وأطبائهم ، بل الراجح أن يكونوا هم أول من أنشأه؛ وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى ، والمداواة من أدوات وأدوية ، وأطعمة ، وأشرية ، وملابس ، وأطباء ، وصيادلة وكل ما يعين على ترفيه الحال على المرضى ، والعجزة والمزمنين ، والمسجونين ينقل من بلد إلى أخرى من البلدان الخالية من بيمارستانات ثابتة ، أو التي يظهر فيها وباء ، أو مرض معد.⁽¹⁾

المدارس الطبية التابعة للبيمارستانات :

برزت الكثير من البيمارستانات التي كانت تضم قسما لتدريس الطب ، و كان الطالب يتلقى فيها علوم الطب نظريا و تطبيقيا ، و كانت الحالات المرضية المستعصية توجه إلى كبار الأطباء فيعقدون حولها حلقة علمية لكي يتم تشخيصها و علاجها ⁽²⁾ ، و يمكن أن نبين أهم المدارس الطبية التي كانت تابعة للبيمارستانات فيما يلي :

مدرسة البيمارستان العضدي ببغداد :

تعتبر من أشهر المدارس الطبية في بغداد ، و احتوت على ما يقرب من أربعة و عشرين طبيا ، و من أشهرهم أبو الحسن بن علي بن إبراهيم البارع في الترجمة و الطب ، و أبو الفرج عبد الله بن الطيب .⁽³⁾

المدرسة الدخوارية بدمشق:

(1) _ أحمد عيسى بك : المرجع السابق ، ص 11 .

(2) _ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ج 02 ، ص 108 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 323 .

و هي قرية من الجامع الأموي في دمشق قرب الخضراء بدرب العميد بدمشق ، أسسها مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار سنة 622هـ / 1244م في بيته الخاص بدمشق و أوقف عليها أملاكاً كثيرة تدر عليها ما يمولها بما يحتاجه ، و قد عمل في هذه المدرسة عدد من شيوخ الطب ، و منهم شرف الدين الرحبي ، و محمد شهاب الدين الحكال و بدر الدين بعلبك (1).

المدرسة الدنيسرية بدمشق

تنسب هذه المدرسة إلى منشئها الطبيب عماد الدين محمد الربيعي الدنيسري المتوفى سنة 686هـ / 1278م ، و كان أبرز من أشارت المصادر إلى تدريسه بها الطبيب نجم الدين الباجرقي المتوفى سنة 699هـ / 1300م . (2)

إيوان الطب في المدرسة المستنصرية ببغداد :

تم إنشاء إيوان الطب في المدرسة المستنصرية ببغداد بعد عامين من تمام إنجاز المدرسة ، ففي سنة 633هـ / 1235م ، و كان على الطبيب المدرس في الإيوان أن يزور المرضى و يتفقد أحوالهم صباح كل يوم ، و يصف الدواء المناسب لحالتهم الصحية . و قد أصبح هذا الإيوان نواة لازدهار الدراسات الطبية في بغداد ، و كان المشرف على قسم الطب في المدرسة المستنصرية مشرفاً عاماً على جميع أطباء العراق . (3)

الهياكل الوظيفية المسيرة للبيمارستانات الإسلامية :

اتبع المسلمون نظاماً دقيقاً لتسيير البيمارستانات ، قصد ضمان تحقيق الفوائد المرجوة من إنشائها ، حيث تم تقسيم المهام على الموظفين حسب ما يلي :

(1) _ بدران : المصدر السابق ، ج1 ، ص 252 .

(2) _ النعيمي : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 134 .

(3) _ كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي : الحوادث الجامعة التجارب النافعة في المائة السابعة ، تصحيح و تعليق مصطفى جواد ، بغداد ، المكتبة العربية ، 1351هـ ، ص 82 .

المسير الأول : رئيس الأطباء و يقول القلقشندي عنه : " إن درجة رئاسة الطب في الدرجة الاولى ، و هي تعادل درجة رئاسة الوزارة و موضعها التحدث على الأطباء ، و هي من الوظائف الصناعية العظيمة ."(1)

المسير الثاني : مقدم الأطباء (الساعور)

كان يعين للبيمارستان رئيس عام أو مقدّمًا للأطباء ، و يسمى ساعور البيمارستان ، و ساعور كلمة سريانية معربة تعني متفقد المرضى (2)، و مسؤولية الساعور تتعلق بإدارة الأمور الفنية الخاصة بالمعالجة.(3)

و يساعد المسير الأول و الثاني جملة من الموظفين ، و منهم

الفصادون و هم الذين يشقون عرق المريض ، و من الشروط اللازمة لممارسة هذا الأمر أن يكون الفصّاد عالما بمواضع تشريح جسم الإنسان و شرايينه و أورده .(4)

الجراحون و هم من يقومون بأعمال الجراحة ، و كان من مقرراتهم الدراسية اللازمة عليهم كتاب الزهراوي الموسوم بالتصريف لمن عجز عن التأليف (5)

خازن الجرحى : و مهمته إخراج الأدوية الجراحية ، و ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية و العقاقير.(6)

الكحالون : و هم المختصين بأمراض العيون ، و لهم أقسام خاصة في البيمارستانات الإسلامية (1).

(1) _ القلقشندي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص 227 . ج 11 ، ص 47 .

(2) _ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 415 .

(3) _ المصدر نفسه : ص 415 .

(4) _ المصدر نفسه : ص 313 .

(5) _ المصدر نفسه : ص 416 .

(6) _ السيوطي : جواهر العقود ، ج 01 ، ص 279 .

محاضرات في الحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي في العصر الوسيط

الطبائعيون : و هم الأطباء ذووا الاختصاص في الأمراض الباطنية ، و يصف ابن أبي أصيبعة أن البيمارستان العضدي كان من تخصصاته الطبائعيون .⁽²⁾ و المجبرون (أطباء العظام) و وظيفتهم ممارسة جبر الكسور⁽³⁾، و الحجامون ، و صانع الأدوية ، و ساقى الأدوية ، و خازن الطعام ، و طباخ البيمارستان ، و شيخ البيمارستان⁽⁴⁾، و كل هذه الوظائف و الهياكل الإدارية غرضها الأساس خدمة المريض و العمل على راحته الصحية.

قائمة المصادر و المراجع :

المصادر :

— ابن الأثير أبي الحسن محمد بن محمد عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ / 1233 م)

الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي النداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1415هـ/1998 م .

(1) — ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 416 .

(2) — المصدر نفسه : ص 416 .

(3) — ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 416 .

(4) — مؤمن أنيس : المرجع السابق ، ص 125 ، 132 .

التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق : عبد القادر طليمات ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، 1963م

— ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة (ت 688هـ / 1289 م)
(

عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

— ابن جبير محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت 614هـ / 1217 م)

رحلة ابن جبير ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

— ابن هشام أبو محمد عبد الملك (ت 213 هـ / 828 م) : سيرة النبي صلى الله عليه و سلم ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مصر ، د.ط .

— ياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1238 م) : معجم البلدان ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان ، 1996 م

قائمة المراجع :

— أحمد مدحت إسلام : علماء العرب و المسلمين و انجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، 1420هـ / 1999 م .

— الحجي عبد الرحمان علي : جوانب من الحضارة الإسلامية ، مكتبة الصحوة ، الطبعة الأولى ، 1399هـ / 1979 م .

— حسين مؤنس : الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978 ، (سلسلة عالم المعرفة)

— خالد بن سليمان بن علي الخويطر : جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى

، 1425 هـ / 2004 م .

- أبو خليل شوقي : الحضارة العربية الإسلامية و موجز عن الحضارات السابقة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2002
- راغب السرجاني :
- ماذا قدم المسلمون للعالم ، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الثانية ، 1430 هـ / 2009 م
- قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة لدار الكتب ، الطبعة الأولى ، 1430 هـ / 2009 م .
- روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2010 م .
- رجي مصطفى عليان : المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1999 / 1420 هـ .
- السباعي مصطفى : من روائع حضارتنا ، دار السلام للطباعة و النشر ، د.ت .
- طه عبد العزيز الخطيب و آخرون : مراكز الحضارة الإسلامية (كتاب مشترك بين مجموعة مؤلفين) ، دار الاتحاد التعاوني للطباعة ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية الطبعة الثانية ، 1430 هـ / 2009 م .
- عبد الحليم عويس إبداع الماضي و آفاق المستقبل ، دار الصحوة ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى ، 1431 هـ / 2010 م .
- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها و صور من تطبيقات المسلمين لها و لمحات من تأثيرها في سائر الأمم ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 1418 هـ / 1998 م .
- عماد الدين خليل مدخل إلى الحضارة الإسلامية المركز الثقافي العربي ، الدار العربية للعلوم ، المغرب ، الطبعة الأولى ، 1426 هـ / 2005 م .
- عيسى بك أحمد : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، دمشق ، جمعية التمدن الإسلامي ، 1939 م

محاضرات في الحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي في العصر الوسيط

- قصي حسين : من معالم الحضارة العربية الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1414 هـ / 1993 م .
- مالك بن نبي : شروط النهضة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1406 هـ / 1986 م .

المقالات :

- أحمد عبد الحليم عطية العرب و الدراسات البيبليوغرافية و البيو بيليوغرافية "جهود حنين بن إسحاق " ، مجلة المورد العراقية ، العدد 03 ، ص 21
- حازم عبد الله خضر : الحميدي و كتابه جذوة المقتبس ، العدد 03 ، 2008 ، ص 98 .
- قيس هادي أحمد : فلسفة الحضارة عند ابن خلدون ، مجلة المورد ، العدد 01 ، 2008 ، ص 10 .
- عباس فاضل السعدي : "نظرة في تراث العرب الجغرافي " ، مجلة المورد ، العدد الثاني ، 1997 ، ص 14 .